كتاب «دعوة الحق»

أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحلته إلى المشرق

(564هـ / 635هـ)

الدكتور محمد بن شريفة
عضو أكاديمية المملكة المغربية

العدد الخامس ◆ 1420 / 1999

أبو مروان الباجي الإشبيلي
ورحلته إلى المشرق
(564هـ / 635هـ)

تأليف
الدكتور محمد بن شريفة
عضو أكاديمية المملكة المغربية

تقديم

هذه سيرة أبي مروان الباجي، وهو علم من أعلام النبلاء كما سماهم الحافظ الذهبي، ويعني بالنبلاء نبلاء العلم. وقد وجدتني منجذبا إلى كتابة هذه السيرة بعد أن قرأت ترجمة الرجل في كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك، ولعل تلخيص هذا المؤلف للرحلة التي قام بها هذا النبيل إلى المشرق كانت أول حافز لي على الاهتمام به، وقوي هذا الحافز عندي لما قرأت المرويات التي رواها عنه ابن أبي أصيبعة حول أطباء الأندلس والمغرب في عصر الموحدين، ووجدت أن الباحثين لا يشيرون إلى صاحب تلك المرويات، ولعلهم لم يعرفوا من هو.

ويضاف إلى ذلك ما تشتمل عليه سيرة الرجل من تقلبات لا تخلو من العبر.

وقد رأيت أن الحديث عن أبي مروان الباجي لا ينفصل عن سلفه، فهو من سلسلة موصولة الحلقات من دخول أول أجداده إلى الأندلس إلى خروجه هو منها، وقد انتهى بموته وجود أسرة كان لها إسهام مذكور في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية بالإندلس عموما وإشبيلية خصوصا.

وبما أن تاريخ الأفراد هو جزء من تاريخ الجماعات فإن هذه السيرة تشكل لبنة من لبنات بناء المجتمع الأندلسي في

عصر الموحدين، ومثلها في هذا سير أعلام من هذا العصر في الأندلس سبق لنا نشرها.

وقد أغنينا هذه السيرة بملاحق تتعلق بسلف صاحبها وبتراثه وتراث أسلافه، وهي تبرز دور الأسرة الباجية الإشبيلية في تنمية الحركة العلمية بالأندلس وفي الصلات الثقافية بين المغرب والمشرق، وكم لهذه الأسرة من نظائر في الأندلس كان لها الفضل في تسلسل الروايات العلمية واتصال أسانيدها خلفا عن سلف إلى أن قضى الله خروج المسلمين من الفردوس المفقود.

ومما يؤسف له ضياع نص الرحلة الحجازية التي قام بها صاحب السيرة والذي دونه أحد تلاميذه، غير أن تلخيص ابن عبد الملك له أعطانا صورة عن هذه الرحلة التي تشعرها بنهاية أسرة وموت مدينة ولله الأمر من قبل ومن بعد.

1 - كان بيت الباجيين في إشبيلية من البيوتات النبيهة في هذه المدينة التي غدت عاصمة الأندلس في زمن الموحدين، وينتسب هذا البيت -كبيت آل عباد - إلى قبيلة لخم، فقد كانت منازل اللخميين بالأندلس في إشبيلية وما حولها[1]، وأما النسبة الباجية لهذا البيت فهي نسبة إلى باجة إفريقية لا إلى باجة الأندلس[2]، وقد أنجب هذا البيت عددا كبيرامن أهل العلم، وقفنا على أزيد من عشرين مترجما منهم في كتب الطبقات الأندلسية وغيرها[3]، ولهذا نوه ابن الأبار في التكملة بهذا البيت فقال في ترجمة أحمد بن يزيد من حفدة بقي بن مخلد : «وكان من رجالات الأندلس جلالاً وكمالاً، ولا يعلم فيها أعرق من بيته في العلم والنباهة إلا بني مغيث بقرطبة وبيت بني الباجي بإشبيلية.[4]»

وأسرة بني الباجي هذه من الأسر العربية اليمنية التي استقرت في إشبيلية بعد فتح الأندلس ومنها أسرة بني حجاج وأسرة بني خلدون وأسرة بني عباد وأسرة بني الباجي

(1) جمهرة أنساب العرب لابن حزم : 423–425 ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر 1328هـ – 1962م .

(2) بغية الملتمس للضبي : 317, مجريط. وإفادة النصيح لابن رشيد: 96, تحقيق الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة. الدار التونسية للنشر، والذيل والتكملة لابن عبد الملك 1 : 263 – 447 . بتحقيقنا

(3) توجد تراجمهم في تاريخ ابن الفرضي، وصلة ابن بشكوال وتكملة ابن الأبار، والذيل والتكملة لابن عبد الملك، وبغية الملتمس، وترتيب المدارك وغيرها، وقد جمعهم في بحث موثق الباحث الإسباني : JUAN M . YIZCAINO انظر
- BIOGRAFICOS DE AL.ANDALUS.V:433-466 CSIC.MADRIO 1992
ESTUDIOS ONOMASTICO

(4) التكملة : 115 .ط.ع. العطار. القاهرة 1955

موضوع هذا البحث، ومامن أسرة من هذه الأسر إلا لها ذكر معروف في الحوليات التاريخية الأندلسية، فقد كان لبني حجاج دولة في إشبيلية خلال النصف الأخير من القرن الثالث الهجري واشتهر منهم إبراهيم بن حجاج الذي بعد صيته ومدحه شعراء وقته، ومنهم ابن عبد ربه الذي يقول فيه من قصيدة :

ألا إن أبراهيم لجة ساحل

من الجود أرست فوق لجة ساحل

فإشبيلية الزهراء تزهى بمجده

وقرمونة الغراء ذات الفضائل [5]

وقد تحدث ابن خلدون في «التعريف» عما كان لأسلافه بني خلدون من مجد أثيل في إشبيلية منذ دخول أولهم وهو جدهم الداخل من الشرق خالد المعروف بخلدون، وتتبع أخبارهم مع الأمويين والعباديين والموحدين وذكر رحيلهم عن إشبيلية في عهد أبي مروان الباجي الملقب بالمعتضد خوفا من سوء العاقبة مع طاغية قشتالة وقال إنهم نزلوا سبتة وتصاهروا مع بني العزفي ثم انتقلوا إلى إفريقية فكان منهم ما كان في خدمة الحفصيين وغيرهم [6].

(5) المقتبس نشر [illegible] ص 12

(6) التعريف بابن خلدون [illegible] 11

ومما لا شك فيه أن أسرة بني عباد هي أكثر هذه الأسر اللخمية الإشبيلية حظا من الشهرة إذ كانت دولة بني عباد أعظم دول الطوائف قدرا وأبعدها صيتا وأبقاها ذكرا، وأما بنو الباجي فقد جاء دورهم في حكم إشبيلية متأخرا كما سنرى، وسبب هذا فيما يبدو أن أسلاف هؤلاء كانوا من أهل الخير مقبلين على ما يعنيهم في دينهم ودنياهم، وكان السلف منهم يورث الخلف طيب المكسب وحسن الأحدوثة، وقد ذكر في ترجمة أحد الورعين أنه كان «لا يتقوت إلا من مال صديقه أبي الأصبغ الباجي لعلمه بطيب مكسبه لوراثته إياه عن أسلافه» [7] .

ثم إن بني الباجي بعد أن استقروا وأيسروا أقبلوا على طلب العلم وذلك في الوقت الذي أقبل فيه بنو الأسر اللخمية الأخرى – كبني حجاج وبني خلدون – على طلب السلطة، وفي التاريخ الذي كان فيه هؤلاء يتصارعون على إمارة إشبيلية ولد سنة 291 هـ أحد أبناء البيت الباجي وهو أبو محمد عبد الله بن محمد المشهور بالراوية لكثرة ما روى من كتب العلم في الفقه والحديث وغيرهما، وقد ذكر القاضي عياض أنه كان يروي 280 كتابا أذاعها في الأندلس وسمعها كثيرون منه وكانت مسرودة في فهرسة يرويها أهل بيته، فهذا الراوية الكبير الذي ظل طوال نصف قرن ينشر العلم في حواضر الأندلس هو باني المجد العلمي الذي توارثه بنو الباجي في

(7) الذيل والتكملة 5 : 27

إشبيلية[8]، وقد سار بنو الباجي على نهج هذا الفقيه المحدث المؤسس، فاشتغلوا بدراسة الفقه والحديث، ورحل عدد منهم إلى المشرق من أجل تأدية الحج وطلب الرواية، وكان من ثمرة هذا أن كان منهم الخطباء والأئمة والقضاة والمشاورون، فمنهم أبو عمر أحمد بن عبد الله الباجي، ولي قضاء إشبيلية أيام المظفر ولد المنصور ابن أبي عامر سنة 393 هـ [9] وكذلك ولده أبو عبد الله محمد الذي ولي الشورى ثم القضاء ببلده في عصرالطوائف[10]، وكان ندا لمحمد بن إسماعيل بن عباد كما كان والده ندا لإسماعيل بن عباد، ومن هؤلاء الأعلام الباجيين الإشبليين أبو الاصبغ عبد العزيزبن علي الذي ولي خطة الرد بإشبيلية في عهد بني عباد، وقام بالسفارة بينهم وبين بني ذي النون أصحاب طليطلة.[11]

ولما عين المعتمد بن عباد ولده يزيد الملقب بالراضي على الجزيرة الخضراء بعث معه أحد بني الباجي هؤلاء ليكون صاحبا له.[12]

---

(8) ترتيب المدارك7 : 34 –37 .

(9) نفسه 7 : 206– 207 .

(10) نفسه 8 : 48 – والصلة 459 .

(11) صلة الصلة : 231 ط. بروفنسال .

(12) الذيل والتكملة 5 :233 .

(13) الصلة : 347 وجاء في البيان المغرب (58:3) عند الحديث عن أحداث سة507هـ مانصه: « وفي هذه السنة صرف القاضي أبو مروان الباجي عن قضاء رشبيلية وقدم أبو عبد الله ابن داوود ثم نقل هذا إلى فاس وولي القضاء أبو

ومن أشهر بني الباجي أيضا أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز الذي استقضي بإشبيلية مرتين في عهد المرابطين[13]، وهو الذي لما مات في سنة 532 هـ رثاه الكاتب الشاعر أبو عبد الله ابن أبي الخصال بقصيدة على حرف الجيم عدها ابن خير في مروياته[14] وأبو مروان هذا هو كني مترجمنا وجده الأعلى.

ولما تم الأمر للموحدين كان من المبادرين إلى الدخول في طاعتهم بعض أعلام الأسرة الباجية ومنهم أبو الحسن على ابن صاحب الصلاة الباجي، وباجيٌ آخر اقتصر صاحب البيان المغرب وغيره على ذكره بولد الباجي، وذلك ضمن أول وفد نهض من الأندلس لمبايعة عبد المومن في أواخر سنة 541 هـ[15]

وقد أصبح أبو الحسن المذكور من الأصحاب المقربين للحافظ الاسنى أبي يحيى ولد الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى وصحبه في حركته إلى جهات بطليوس، وفي هذه الحركة أُسِر أبو الحسن الباجي فيمن أسر من أصحاب أبي يحيى في كمين نصبه النصارى، وقد «فداه بثلاث مائة دينار

---

(13) الصلة : 347 وجاء في البيان المغرب (58:4) عند الحديث عن أحداث سة507هـ مانصه: «وفي هذه السنة صرف القاضي أبو مروان الباجي عن قضاء إشبيلية وقدم أبو عبد الله ابن داوود ثم نقل هذا إلى فاس وولي القضاء أبو مروان ثم صرف» .

(14) فهرس ابن خير :421 .

(15) البيان المغرب – قسم الموحدين : 33 .

حشمية في أسرع مدة، وأعطاه كل ما سُلِب من فرس وآلة وحلية وحلة»[16].

ومن هؤلاء الباجيين الإشبيليين الذين وجدناهم يلوذون بالموحدين في أول أمرهم بالأندلس أبو عبد الله بن محمد بن صاحب الصلاة فقد كان من الأعيان الذين وفدوا على عبد المومن لما حل بجبل طارق وأنشده قصيدة طويلة مطلعها :

تلألأ من نور الخلافة بارق
أضاءت به الآفاق والليل غاسق [17]

ولم نقف له على ترجمة . ولعل من هذا الفرع الباجي المعروف ببني صاحب الصلاة مورخ دولة الموحدين في طور نشأتها أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي الإشبيلي المعروف بابن صاحب الصلاة، وقد ترجم به ابن الأبار وابن عبد الملك[18]، ووصل إلينا جزء من تاريخه الذي سماه «بالمن بالإمامة»[19] وليس من هؤلاء بنو الباجي الكتاب الذين اشتهروا في عهد ملوك الطوائف، فإن أصلهم من باجة الأندلس وأولهم يوسف الباجي وابنه جعفر بن يوسف وولداه عبد الله ويوسف وكلهم من حملة الأقلام وفرسان الكلام، وجعفر بن يوسف منهم كتب في عهد الفتنة عن عدد من الملوك آخرهم يحيى ابن اسماعيل بن ذي النون، أما ولده أبو

(16) المن بالإمامة : 307 و الحشمية بالحاء معناها الدنانير المرابطية، وهي نسبة إلى الحشم وهي الكلمة التي أطلقها يوسف بن تاشفين على جموع جزولة ولمطة وقبائل زناتة ومصمودة التي ضمها اليه سنة 470هـ (الحلل الموشية: 33 وفي نظم الجمان (132) أن المرابطين « يسمون الحشم للثامهم كما يفعل النساء المحتشمات» فالدنانير الحشمية هي الدنانير المرابطية وقد كانت ذات [illegible] وليصحح صديقنا التازي حاشيته رقم 4.

عمر يوسف فهو أكثر هؤلاء الأعلام شهرة ومكانة وأدبًا وتوجد جملةٌ من رسائله وأشعاره في الذخيرة والعطاء الجزيل وغيرهما[20].

وليس منهم كذلك أبو الوليد الباجي العالم الحافظ المشهور فهو أيضا من باجة الأندلس، وقدوهم ابن خلدون في تاريخه فذكره في عدادهم[21] .

لقد دخل بعض أعلام الأسرة الباجية الإشبيلية في خدمة الدولة الجديدة دولة الموحدين، واختار هؤلاء بعض الباجيين لتولي خطط دينية في مدينة إشبيلية كما سنرى هذا فيما يأتي.

ومن أشهر هؤلاء المحمدان الشقيقان أبو عبد الله الباجي وأبو مروان الباجي الإشبيلي موضوع هذه الدراسة، وقد عنينا به لما وجدنا في حياته وسيرته من أحداث تثير في النفس العجب والإعجاب.

2 - وسنبدأ بذكر نسبه من جهة أبيه أولا مرفوعا إلى جده الأعلى الداخل إلى الأندلس، فهو : أبو مروان محمد بن أبي عمر أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمى الداخل إلى الأندلس[22].

(17) نفسه : 105–108
(18) التكملة رقم 1726 و الذيل و التكملة 5 :32
(19)مطبوع بتحقيق زميلنا الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي.
(20) الذخيرة 2/2 : 186–200
(21) تاريخ ابن خلدون 6 : 611
(22) الذيل والتكملة 5 : 686–687 .

وهذا نسب أمه مرفوعا كذلك فهي : أم القاسم ابنة الوزير أبي بكر محمد بن مغيرة بن محمد بن المغيرة بن عبد الملك ابن مغيرة بن معاوية بن المؤمن الداخل إلى الأندلس ابن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس[23].

كان والد أبي مروان «محدثا عدلا فاضلا نبيه البيت أكبر حسباء بلده بشرف العلم المتوارث على القدم»[24]، وقد روى عنه ولداه : أبو مروان هذا وشقيقه كبيره أبو عبد الله محمد الذي ولي الخطبة والقضاء بإشبيلية قبل شقيقه أبي مروان، وكانت وفاته سنة 606 هـ بعد أن صرف عن القضاء بسنة واحدة، وهو والد المتأمر بإشبيلية الذي سيأتي ذكره[25].

ولد أبو مروان بإشبيلية سنة 564 هـ وقرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع وغيرها على أبي عمرو عياش بن عظيمة شيخ المقرئين بإشبيلية في وقته[26].

وقد فصل ابن رشيد ما قرأه على هذا الشيخ فقال : «وجود بالقراءات السبع وبرواية يعقوب من طريقيه : روح

(23) الذيل والتكملة. 5 : 686 .

(24) نفسه 1 : 263 .

(25) نفسه 5 : 687. وكانت ولايته القضاء بعد وفاة القاضي أبي حفص بن عمر الاغماتي عام 603 هـ،، وخلف الباجي على قضاءإشبيلية ابو محمد عبد الحق ابن عبد الله بن عبد الحق. الذيل والتكملة 5 : 687 و8 : 232 .

(26) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 487, والتكملة رقم 1950 وصلة الصلة : 158 [illegible] النهاية 607.

ورويس ... وقرأ عليه من تأليف أبيه في القراءات أرجوزته المشهورة، والجالب للإفادة، لطالب الإرادة، وشرح الحصرية الرائية وهو الذي سماه : الفريدة الحمصية، في شرح القصيدة الحصرية، وكتاب الغنية»[27].

ودرس النحو واللغة والآداب على أبي إسحاق إبراهيم بن ملكون أمهر من اشتغل بهذه العلوم بإشبيلية في وقته قرأ عليه الجمل للزجاجي وأدب الكتاب لابن قتيبة[28].

وقرأ أيضا على أبي بكر محمد بن طلحة الأموي الإشبيلي وكان هذا الشيخ يقرئ الكتب التالية : الجمل والإيضاح والأشعار الستة وأدب الكتاب وإصلاح المنطق وفصيح ثعلب والحماسة والمقامات للحريري والأمثال لأبي عبيدة وكتاب سيبويه والكامل وشعر أبي تمام ونوادر أبي علي[29].

وسمع الحديث على الحافظ أبي بكر بن الجد، سمع عليه الصحيحين وسنن الترمذي والنسائي وأبي داوود والموطأ وسيرة ابن هشام وكتاب الزكاة من تأليفه[30]، وسمع مسند عبد الرزاق على الزاهد ابن مجاهد[31]، وسمع على آخرين، وأجاز له عدد من أهل العلم في المغرب والمشرق[32].

(27) إفادة النصيح: 98-99 .

(28) نفسه، وترجمة ابن ملكون في التكملة : 157-158 .

(29) برنامج شيوخ الرعيني : 79, والتكملة : 605, والمغرب1 : 253 .

(30) إفادة النصيح : 99-100.

(31) نفسه، وترجمة ابن مجاهد في الذيل والتكملة5 : 666-670, والتكملة : 522.

(32) ممن أجاز له : الحافظ السلفي، إفادة النصيح : 102..

ومن شيوخه القاضي أبو حفص عمر السلمي الأغماتي الذي كان قاضيا بإشبيلية مرتين، والفقيه الحاج أبو بكر محمد بن علي التجيبي الإشبيلي، وقد روى عنه الحكاية التالية: «قال أبو بكر بن علي حين سماعي عليه السنن : كنت أرى في النوم كأن جزارا قد رفع ساطورا على قدمي ليقطعهما فكنت أتخوف من ذلك تخوفا كثيرا وأقول : نزول الساطور على قدمي أسرع من أن أضمهما إلي، فانتبهت وإذا قدماي على كتاب الترمذي، فرفعت رجلي عنه، وعلمت أن ذلك إنما كان من أجل أن قدمي كانتا على الكتاب»[33].

ولنبوغه المبكر وحسن تلاوته للقرآن وحسن قراءته للحديث استدعي وهو شاب إلى أن يكون قارئ الحديث بمجلس الخليفة المنصور فمن بعده من الخلفاء[34]، وقد كان أيضا سريع التلاوة للقرآن يختمه في مدة خارقة للعادة[35].

ولما كان يتمتع به من فصاحة في الإلقاء وبلاغة في التعبير وقدرة على الإقناع عينه الخليفة المذكور في سنة 594هـ خطيبا بالجامع الأعظم في إشبيلية بالتناوب مع أبي الحكم ابن حجاج، وقد كانت الخطبة بالجامع الأعظم خطة كبيرة يومئذ، ولهذا يذكر تعيين صاحبها في الحوليات التاريخية، جاء في البيان المغرب في حوادث سنة 594 هـ

(33) الذيل والتكملة 6 : 444.

(34) إفادة النصيح :96.

(35) نفسه :97.

«في هذه السنة أشرك أبو مروان الباجي مع أبي الحكم ابن حجاج رحمه الله في الخطبة»[36].

وفي سنة 606 هـ دعي أبو مروان إلى مراكش وذلك -فيما يبدو- لقراءة الحديث في مجلس الناصر الموحدي، إذ كان كما قلنا آنفا- هو قارئ الحديث بمجلس الخليفة المنصور فمن بعده، ويبدو أن هذا كان يتم في شهر رمضان، وفي التاسع والعشرين من شوال ست وستمائة توفي أبو عبد الله شقيق أبي مروان وكبيره الذي كان قاضيا بإشبيلية[37]، ويبدو أن أبا مروان لم يتمكن من حضور موته ودفنه، ولعلنا نستفيد هذا من قول الكاتب أبي القاسم البلوي : «وكتبت أعزي الشيخ الفقيه الخطيب الحسيب الأفضل أبا مروان الباجي أدام الله علاءه عند وروده من حضرة الإمامة أيدها الله في أخيه الشيخ الفقيه القاضي الخطيب أبي عبد الله رحمه الله[38].

وقد أثبت الأديب البلوي نص تعزيته في مجموعه المسمى بالعطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، وهي تتألف من قصيدة ورسالة، فالقصيدة تشتمل على 33 بيتا أولها - كما يقول هذا الكاتب الإشبيلي- يشير إلى فرح أهل إشبيلية بقدوم أبي مروان وابتهاج الجميع برجوعه، قال :

(36) البيان المغرب - قسم الموحدين- : 228.

(37) الذيل والتكملة 5 : 687 .

(38) العطاء الجزيل (مخطوط الخزانة الحسنية).

قدومك أيها الحبر الرفيع
أعاد الأنس فابتهج الجميع
وأضحت حمص مشرقة النواحي
بوجهك حين حان له طلوع
وفاحت أرضها بشذاك حتى
كأن ترابها مسك يضوع
وأينعت الأزاهر وهي صيف
كأنك إذ أتيت أتى الربيع
وحق بأن تطير بكم سرورا
فإنك للورى الركن المنيع
خلقت لملك أفئدة البرايا
فأنت لكل ذي أمل شفيع
لك الذكر الجميل بكل أرض
بأخلاق لها حسن بديع
لك الدين المتين لك المعالي
لك التحصيل والحسب الرفيع
لك الصدر الرحيب بكل خطب
إذ ما ضاق بالخطب الهلوع

ويتخلص الشاعر بعد هذا إلى رثاء الميت وذكر رزية أهله، وأهل بلده بموته، ويدعوهم إلى الترحم عليه والتسلي عنه.

وأما الرسالة التي تلي القصيدة فإنها تُبدأ بما يلي : «ياسيدي الأمجد، وعمادي الأوحد، أطال الله بقاءكم وحفظ

حوباءكم، وحرس من الغير أرجاءكم، وضاعف سعدكم وعلاءكم، وأحسن على الخطب الملم والرزء المدلهم عزاءكم وأجزل ثوابكم بالصبر الجميل وجزاءكم.»

ويأتي بعد هذا عبارات التفجع على الميت والترحم عليه والتعزي عنه، ويقول البلوي الذي يظهر أنه كان ذا صلة بالفقيد : «وإن كان درج أخوكم – وسيدي كان– رحمه الله، وقدس روحه، وبرد ضريحه، وكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه، وتلكم رزية تقرح القلب، وتمنع الصبر وتمنح الكرب، وتحتدم لها الضلوع بحسراتها، وتجود لها العيون بعبراتها، وتتقطع الأكباد، وتفت الأعضاد، فقد درج رحمه الله على خير عمله، مبلغا من رضى الله بفضل الله غاية أمله».

ومن العبارات التي نقف عندها في هذه الرسالة قول صاحبها : «وإن كان ذهب الأكبر سنا فقد بقي منكم الأكبر قدرا.. والمقدم في عظم الفضائل وجم الشمائل صدرا، وإن كان رحل الأقدم ميلادا، فقد أقام الأعظم جاها والأرفع عمادا وقد اسلى الله عن فقد الغارب ببقاء السنام».

وتختتم الرسالة بعبارات الدعاء لأبي مروان، وهي تمثل نموذجا من نماذج التعازي، كما أنها تبرز مكانة الرجلين المعزّى والمعزَى به ومكانة أسرتهما في إشبيلية.

ومع أن البلوي جعلنا نرى أن أبا مرْوان هو أكبر مكانة وأرفع قدرا من شقيقه أبي عبد الله فإن أبا مروان لم يطلب لخطة القضاء في إشبيلية خلفا لأخيه، وإنما ظل في خطة الخطابة التي لم تقل عنها في عهد الموحدين، وبعد مدة دعاه

الخليفة إدريس بن المنصور الملقب بالمامون إلى تولي خطة القضاء بإشبيلية نظرا لما عرف به من فقه وعدالة ومكانة اجتماعية.

يقول ابن عبد الملك : «استقضى ببلده أيام إمارة أبي العلاء إدريس بن المنصور من آل عبد المومن وبعدها، فعرف بالعدل والنزاهة ووطأة الأكناف ولين الجانب حتى يقال : «إنه ما سجن مدة قضائه أحدا، وخطب بجامع بلده دهرا طويلا، وتردد على حضرة مراكش مرارا موفدا مبرورا حظيا عند الأمراء بها مقضي المآرب»[39].

ويقول ابن رشيد : «ولي خطبة بلده زمانا، ثم استقضاه العادل عليها، ثم أضيف له قضاء الجماعة أخيرا في أولية مدة المأمون، ولم تطل مدته في ذلك، وشهر بالمعرفة بالقضاء والعدل في الأحكام[40]» أما ابن الأبّار فيذكر أن أبا مروان «ولي قضاء الجماعة بإشبيلية والخطبة بها دهرا طويلا». ومن تحريه في القضاء ما يروى أنه تحاكم عنده خصمان وحضره جماعة من الشهود، فعندما أقبلا عليه قام ... وقال للشهود الذين حضروه : افصلوا الحكم بينهما ودخل إلى منزله، فقيل له في ذلك فقال : كان بيني وبين أحدهما تغيِّر فخشيت إن حكمت عليه أن يجد في نفسه علي شيئا لمكان التغير[41].

(39) الذيل والتكملة 5 : 689.

(40) إفادة النصيح :96.

(41) نفسه : 97 – 98.

وقد أجمل ابن عبد الملك وابن رشيد في العبارات السابقة حياة أبي مروان الوظيفية من سنة 622 هـ إلى سنة 631 هـ تقريبا، وهي سنوات عمت فيها الفتن وفسد أمر الموحدين وتفرقت كلمتهم، وظهر الخارجون عليهم كابن هود وغيره[42]. أما تردد أبي مروان على مراكش الذي ذكره ابن عبد الملك فلأنه كان «السارد» بالمجلس السلطاني في المناسبات الدينية منذ زمن المنصور فمن بعده، ثم إنه كان يستدعى لمرافقة الركب السلطاني، وقد روى عنه ابن أبي أصيبعة أنه قال : «كنا في تونس مع الناصر، وكان في العسكر غلاء، وقل وجود الشعير، فعمل أبو الحجاج بن مرطير موشحا في الناصر وأتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في بعض موشحاته، وذلك أن ابن زهر قال :

ما العيد   في حلة وطاق   وشم طيب
وإنما العيد   في التلاق   مع الحبيب

فعمل ابن مرطير :

ما العيد   في جلة وطاق   من الحرير
وإنما العيد   في التلاق   مع الشعير

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت قيمتها في ذلك الوقت خمسين دينارا»[43]. وعندما نقرأ مرويات ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان نحس أنه كان قريبا من

(42) انظر مجمل ذلك في دراساتنا عن ابن عميرة (من صفحة 18 إلى صفحة 24).

(43) عيون الأنباء 3 : 127, وانظر في حركة الناصر إلى تونس : البيان المعرب : 243–249.

الموحدين إلى آخر يوم من وجودهم بالأندلس، ولعله لم يمل إلى حزب القائمين عليهم، ومنهم ابن هود الذي تبعته إشبيلية فترة من الزمن، ولكن ولد أخي أبي مروان تمكن بمؤازرة بعض البيوتات الإشبيلية من طرد ابن هود والدعوة لنفسه، ولسنا ندري كيف كان موقف أبي مروان ولكننا نظن أنه – وهو الإنسان الفاضل الموطأ الأكناف اللين الجانب – لم ينشب في شئ مما ينسب إلى ابن أخيه[44].

يقول ابن عبد الملك في وصفه : «وكان كريم النفس حسن اللقاء برا بأصحابه ومنتابيه، متواضعا، جميل السعي في حوائج الناس عموما وخصوصا، مبختا في تسيير قضائها، صواما قواما سري الهمة، كامل أدوات الفضل، خطيب زمانه، مثابرا على تلاوة القرآن، حافظا للحديث، من أحسن الناس صوتا وأطيبهم نغمة في إيرادهما، جيد الخط والضبط، ذاكرا للفقه.»[45]

ويقول في وصف صورته «وكان من سادات بيته الأفاضل ببلدهم، ذا خلق وسيم، وخلق عظيم، دري اللون أسيل الوجه، حسن الضرب والقد إلى الطول، قد علا بأخرة إحدى كريمتيه بياض لم يشنها».[46]

(44) اختصار القدح : 68–118–157.

(45) الذيل والتكملة 5 : 688–689.

(46) نفسه.

ويقول ابن رشيد في نعته كذلك : «أحد أهل الدين والفضل والإيثار والتواضع والسراوة والمروءة وحسن الخلق والمبرة بأصحابه، وكان في ذلك آية عجبا»[47]، وابن عبد الملك وصاحبه ابن رشيد لم يدركا أبا مروان، وإنما رويا أخباره عن تلاميذه.

أما هؤلاء التلاميذ فقد أشار إليهم ابن الأبار في التكملة دون أن يسميهم قائلا : «وقد أخذ عنه بعض أصحابنا»[48]، ويقول مضيفا : «ولقيته غير مرة، واجتمعت به عند أبي بكر ابن محرز شيخنا».[49] ويبدو أن هذا اللقاء كان في دار أبي بكر ببلنسية.

ولكن ابن عبد الملك وابن رشيد اللذين عرفا من أخبار أبي مروان أكثر مما عرف ابن الأبار قد سردا أسماء طائفة من تلاميذه، قال ابن عبد الملك : «روى عنه حفيد أخيه أبو محمد وآباء عبد الله : ابو بكر بن أحمد بن سيد الناس وابن أحمد الرندي وابن أبي بكر ابن المواق وابن الخضار نزيل سبتة، وصحبه في وجهته المشرقية وحج معه ولزمه إلى أن فرق الموت بينهما، وأبو عمرو عثمان بن أحمد بن العوام وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران وأبو محمد بن القاسم الحرار. وروى عنه بدمشق جماعة منهم أبو عبد الله البرزالي وأبو

(47) إفادة النصيح :96.

(48) التكملة : 637.

(49) نفسه، وترجمة ابن محرز في التكملة : 644–665, وبرنامج شيوخ الرعيني 166–167 وعنوان الدراية : 166.

الحسن القسطار وابن يريم الإشبيليون»[50]، وذكر ابن رشيد اثنين آخرين ممن رووا عن أبي مروان وهما أبو العباس أحمد بن فرتون مؤلف كتاب الذيل في التراجم[51]، وأبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم الجزيري، سمع على أبي مروان صحيح البخاري[52]، وممن سمع عليه صحيح البخاري بسبتة أيضا أبوزيد عبد الرحمان الإدريسي بقراءة أبي الفتوح ابن فاخر، وممن روى عنه أيضا أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الرندي نزيل مراكش، لقي أبا مروان بطريف ومراكش، وأبو عبد الله ابن المواق[53]، ولعل مما يستغرب بعد هذا قول ابن الأبار فيه : «ولم يكن من أهل العناية بالرواية»[54]، ولسنا ندري كيف يقول هذا في رجل طارت شهرته وطلب لمشيخة دار الحديث بالقاهرة. ولا ننسى أن نشير بعد هذا إلى رسالة كتبها أبو بكر محمد بن أحمد الفهري ولد أخ الحافظ أبي بكر ابن الجد إلى أبي مروان الباجي، ولا نعرف منها إلا أولها وهو قوله«الحسب والوزارة – أعزكم الله – قد خلَقا بالابتذال، وصارا من لباس الأنذال، فرأيت الاقتصار على الاختصار، وترك التشطيط، في التخطيط»[55]،وربما كانت هذه الرسالة

(50) الذيل والتكملة5 : 688.

(51) إفادة النصيح : 103.

(52) نفسه.

(53) درة الحجال3 : 74–77 . والذيل والتكملة 6 : 8,62:259–273.

(54) التكملة : 637

(55) نفسه.

المفقودة تشتمل على بعض المعلومات الإضافية حول أبي مروان قاضي الجماعة وخطيب الخلافة.

3 – إن أبا مروان الباجي الذي أجمع المترجمون له على صفاته الحميدة وشمائله الكريمة قد كتب عليه أن يمتحن في آخر حياته بإشبيلية مرتين :

المرة الأولى يوم أن دعا ولد شقيقه إلى نفسه وتلقب بألقاب الملوك وركب الأسنة وخاض فيما خاض فيه مما يشير إليه بعض المؤرخين[56]. والمرة الثانية عند مقتل المذكور ونهب قصوره[57]، وقد أشار ابن الأبار في ترجمته لأبي مروان إلى هذه المحنة فقال : «وامتحن في الفتنة عند مقتل ابن أخيه والي إشبيلية أبي مروان أحمد بن محمد بن أحمد على يدي أبي عبد الله ابن الأحمر ثالث جمادى الأولى سنة 631 هـ»[58]. فما هي هذه المحنة ؟ وما هي ظروفها ونتائجها ؟

أشرنا آنفا إلى تفرق كلمة الموحدين وضعف دولتهم وخروج ابن هود وغيره في الأندلس عليهم، وقد بدأهذا بعد موت الخليفة يوسف المستنصر سنة 620 هـ، وظهر الصراع بين السادة الموحدين بالأندلس ثم تفاقم الأمر بخروج ابن هود وانسحاب المامون الموحدي من الأندلس سنة 626 هـ[59]

(56) راجع القدح المعلى في مواضع متعددة.

(57) نفسه :67 .

(58) التكملة : 637 - 638 .

(59) البيان المعرب – قسم الموحدين– : 284.

وبهذا خلا الجو لابن هود الذي بسط نفوذه على ما كان بيد الموحدين في شرق الأندلس وغربها ولما وقعت إشبيلية تحت سيطرته «اعتقل من كان بها من الموحدين [60]، وعين أخاه أبا النجاء الملقب بعماد الدولة عليها ولكن هذا لم يطل كثيرا فإشبيلية التي عرفت بيوتاتها النبيلة وبكونها ظلت زمنا غير قصير عاصمة للموحدين في الأندلس لم تستسغ الحاكم الطارئ عليها، ولهذا قامت عليه وأخرجته سنة 629هـ، جاء في البيان المعرب :«وفي هذه السنة قامت العامة من أهل إشبيلية على عماد الدولة أبي النجاء سالم بن هود الوالي على إشبيلية وعلى أنظارها من قبل أخيه المتوكل فأخرجوه من إشبيلية وبقي أمرهم شورى بينهم يرجعون فيه لأمر الباجي وكانوا أرادوا مبايعته فامتنع لهم إلى أن وصلته بيعة قرمونة في السنة الآتية بعد هذه فقبلها، وحينئذ مد يده إلى مبايعة أهل إشبيلية فبايعوه، وبقي أميرهم بها إلى أن قتل في سنة ثلاث وثلاثين»[61]، ونفهم أيضا من هذا الخبر ومن أخبار قصيرة أخرى في البيان أيضا[62] أن أهل إشبيلية كانوا متمسكين بالباجي وأنه لم يتسلط على الحكم، وإنما دعي إليه، ولكن ابن سعيد القلعي الذي نجد عنده طائفة من الأخبار حول الباجي وفترة حكمه يرى رأيا آخر فهو ينعته دائما بالمنتزي[63] مع أنه ينسب القيام على ابن هود إلى أبي بكر

(60) العبر 6: 611, طبعة دار الكتاب اللبناني .
(61) البيان المعرب :330 .
(62) نفسه : 226–303 .
(63) اختصار القدح المعلى : 67–70–175.

عبد الله بن عبد العزيز المعروف بابن صاحب الرد[64]، وهو ابن عم الباجي، وقد كان ابن هود فطن إلى طموح هذا الرجل فولاه على رنده واستدرجه بذلك إلى الخروج عن إشبيلية، ولكنه لم يلبث أن عاد إليها " فجعل يطعن على ولاة ابن هود إلى أن أمكنته الوثبة فأخرج أخاه سالم بن هود منها وجمع أشياخها – ولم يشك أحد أنه يطلب الأمر لنفسه –فقدم ابن عمه أبا مروان أحمد بن محمد الباجي وخرج يذب عنه بمن اجتمع له من الجند»[65] .

لقد ترجم ابن سعيد لابن صاحب الرد هذا وقال إنه كان «يغلب عليه الذكاء حتى يُميله إلى التهوّر والحدة المفرطة»[66] وأورد من شعره «فيما كان يرومه فيخوفه منه الناظرون في العواقب قوله :

مُرَّ مَرَّ السيلِ لا ترجعْ إذا
خوفَ الناهي وقد طاب الحمام
واعلَمنْ أن المنايا قُدِّرت
في مهاد الأمن أوحد الحسام[67]

ويبدو أن أبا مروان الباجي الذي تلقب بالمعتضد بالله كان يعتمد في تدبير الأمور على ابني عمه أبي بكر المذكور وأخيه أبي عمران فكانا له وزيرين أو شريكين في الحكم،

(64) اختصار القدح المعلى : 112.
(65) نفسه : 112.
(66) نفسه : 112.
(66) نفسه: 112.
(67) نفسه :112.

وهذا ما يشير أليه أبو بكر ابن البناء رئيس بيت الكتاب في دولة هؤلاء إذ يقول :

أنـتـم ولاة الأمـر رغـمـا عـلـى
آنـــاف أعـــداء وحـــســـاد

في ضئضئ المجد اشتركتم وفي
بحبوحة الرأي لدى النادي

ثلاثـة مثـل الأثافـي علـى الـرأ
ي الذي يعدو على العادي

هـزوا بمـا أعطيتهم قبـة الـ
ـقصر وهزوا قبة الوادي[68]

إن ابن سعيد الذي كان بإشبيلية في أيام هذه الإمارة الباجية يتحدث عنها حديث مشنع عليها مستهزئ بأعمالها، ولعل هذا لأنه لم يكن لوالده فيها نصيب، كما أن والده الذي خدم الموحدين مال بعد خروجهم من الأندلس إلى ابن هود الذي عينه عاملا على الجزيرة الخضراء[69].

ومن أمثلة سخريته ببعض ما قامت به هذه الإمارة من منشآت قوله في وصف استعراض السفن التي أنشأها الباجي: «عهدي بالباجي المنتزي بإشبيلية قد خرج إلى باب القطائع، وجلس على موضع مرتفع، وجرت الغربان[70] التي أنشأها للبين، ودل تطير الناس بمبدإ أمرها على أن حان له

(68) اختصار القدح المعلى :119.

(69) نفسه :126.

(70) نوع من السفن والمفرد غراب، وفي استعمالها هنا تورية .

الحين، فلما جرى الغراب المسمى باسمه السعيد، خر على وجهه في الماء فصعق الناس حزنا من قريب وبعيد، فارتجل الشعراء فيما يسلي عن هذا الطارئ الشنيع، فكان أشد وأنكى في التشنيع،

فصنع الطرنتي فيمن صنع، والخجل يلعثم منه لسان الجزع والطمع :

إن تنكروا فعل الغراب الذي
مـال عـلـى الـمـاء بأعـبـائـه

فـإنـه فـي فـعـلـه عـالـم
بالوضع في أجمل أنحائه

كالطفل إذ يولد لابد أن
يغسل للتطهير في مائه»[71]

ويقول أيضا ساخرا من خروج الباجي إلى مواجهة القشتاليين المغيرين على إمارته : «خرج الباجي إلى فريق من النصارى ضربوا على جهاته ففاتوه قبل أن يكون اقتراب، فعاد وقد حمد الله على السلامة ورضي من الغنيمة بالإياب، فقام ابن الصابوني منشدا قصيدة أولها :

عظم امتنانُكم على الإيمان
وعدا عديدكم على الصُّلْبان

فتنكر له ذلك الممدوح حتى ظهر ذلك في محياه الغضبان وتلا : «يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا علي

(71) اختصار القدح المعلى :184.

إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين»»، فعهدي به بعد ذلك يطلب السراح من الوزير ابن صاحب الرد وينشده، ويستعطفه بالمودات القديمة ويستزيده:

أتراك ترضى أن أعيش منغصا
إن لم تنل أملا فهب لي مخلصا
مازال حسادي بستر جنابكم
حتى سعوا في رفعه فتقلصا
نظروا إلى وجه الجميل يروق لي
فسعوا إلى أن صار نحوي أبرصا

فأنشده الوزير متمثلا، وضمن له النجاح متكفلا :

وسعى إلي بهجر عزة معشر
جعل الإله خدودهن نعالا[72]

وقد يروي أحيانا بعض أخبار هذه الإمارة من غير تعليق كقوله متحدثا عن شاعر يمدح الباجي عند ظهور السكة باسمه: «رأيته مرة بمجلس الباجي المنتزي بإشبيلية وقد أحضر هنالك عنوان من سكة الذهب والفضة التي كتب عليها اسمه، وأثبت فيها رسمه، وأنشد قصيدة أولها :

قد فخر الدينار والدرهم
بما على ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن شكركم
وكل جزء منه فرد فم

ثم قال بعد ذلك :

(72) اختصار القدح المعلى : 71، والبيت لكثير عزة .

كأنها الأنجم والبعد قد
حقق عندي أنها الأنجم

فضحك الباجي وأشار إلى وزيره ابن صاحب الرد أن يقربها منه حتى يبطل تحقيقه، وينتهج إلى الإحسان طريقه، فأعطاه منها غرفة صالحة بيده، أقامت في ذلك الوقت ما اختل من أوده»[73]. وقوله أيضا في ترجمة أحد الشعراء : «من شعره قوله من قصيدة أنشدها الباجي القائم بإشبيلية حين خلع طاعة ابن هود، وبدل شعاره الأسود في البنود :

كأنما الراية السوداء قد نعبت
لهم غرابا ببين الأهل والولد
مات الهدى تحتها من فرط لوعته
فأظهر الدهر منها لبسة الكمد»[74]

وفي بعض هذه الأخبار سخرية ممزوجة بالتندر كما في ترجمة إبراهيم الحجاري الذي يقول عنه ابن سعيد: «عهدي في مجلس الباجي المنتزي بإشبيلية ينشده إلى أن بلغ إلى قوله يخاطبه :

فخرت بكم حمص على أمثالها
وبحقها وبحقها أن تفخرا

فغلب الناس الضحك، وأما أبو يحيى ابن هشام الكاتب فإنه غطى أنفه[75] قاصدا التندير فيه وكنت فيمن يليه، ثم أنشد بعد :

(73) اختصار القدح المعلى : 70 .

(74) نفسه : 135.

(75) يعني بسبب كلمة فخرت وكلمة تفخرا.

إن كان فيها نهرها فلقد غدت
نعماك فيها يابن أحمد انهرا

فلما انفصل قال له أحد الطلبة : هل هو إلا ابن محمد؟ فاغتاظ وقال : أفتردنا في الشعر، وحلف ألا يجالس جاهلا أبدا، فما بقي من لم يضحك من منزعه، وكان فيهم من تبعه وهو يسبه حتى حل بمربعه»[76]. أما بقية الأخبار التي نجدها عند ابن سعيد حول الفترة الباجية فإنها تصمها بالظلم والتعدي وشدة الغلاء ونفي الخصوم أو حبسهم أو قتلهم ولو كانوا من الأسرة الباجية، فقد أُخْرِج إسماعيل بن حجاج اللخمي من إشبيلية وأوى إلى شريش وصار يكاتب أقاربه ومعارفه «حتى أُودعوا الحبوس، وكادت جسومهم تفارق الرؤوس»[77].

وفي ترجمة الأعلم البطليوسي يروي بن سعيد عن والده أنه قال : «جلست معه يوما وأخذت فيما حل بإشبيلية أيام فتنة الباجي وقتل من قتل وفقر من افتقر فأطرق وتنفس الصعداء وقال : دعهم لا يفلحون إذا أبدأ، ثم أنشد :

دع الأيام تنصف من أناس
إذا صارت لهم حقروا الكراما
ولا تدمع جفونك إن تفانوا
ولا تقرأ على أحد سلاما

(76) اختصار القدح المعلى : 175.
(77) نفسه : 140.

ونكب عن مصارعهم جزاء
ولا تحفظ لمذموم ذماما
وفكر في صنيعهم ولاة
لتشكر في تجرعهم حماما
صحبت الناس جيلا بعد جيل
فلم أر من أود له المقاما»[78]

ويذكر ابن سعيد أن الأحوال في إشبيلية ساءت كثيرا عند حصار جيش ابن هود لها فخرج منها بعض أهلها، ومنهم شاعرها الهيثم، قال ابن سعيد في ترجمته : «وآلت به الحال إلى أن خرج من إشبيلية في حصار الباجي وشدة ذلك الغلاء إلى شريش، فاتهم بذهب فقتل عليه شر قتله، وهيهات أن يخلف الزمان بالأندلس أو غيرها مثله»[79].

ولما اشتد حصار ابن هود على إشبيلية دعا الباجي صهره[80] وحليفه ابن الأحمر إلى نجدته، وكان هذا في بداية أمره مستحوذا على قرطبة ومتشوفا إلى إشبيلية فهب متظاهرا بنصرة حلفائه الباجيين وناويا الفتك بهم، قال ابن سعيد : «فلما فرغوا من هزيمة ابن هود على حصن الفرج[81] واتفقواعلى الخروج والمساعدة على أخذ شريش وغيرها مما

(78) اختصار القدح المعلى : 157.
(79) نفسه : 159.
(80) نفسه .
(81) حصن بناه المنصور الموحدي بخارج إشبيلية، انظر البيان المغرب : 241–215–218–222–228 .

هو في طاعة ابن هود، وثب عليهم بظاهر إشبيلية في الأخبية ثم ضرب أعناقهم وملك بلدهم وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة»[82]، وذكر ابن خلدون أن ابن الأحمر : «بعث قريبه ابن اشقيلولة مع أهل أرجونة والنصارى إلى فسطاط الباجي فتقبضوا عليه وعلى وزيره وقتلوه سنة إحدى وثلاثين»[83]. وقد اعتبر ابن الأحمر استيلاءه على إشبيلية بالكيفية المذكورة فتحا فوجه بالأخبار به رسالة إلى أتباعه يعلن فيها البشرى بما منحه الله من فتح الحضرة الإشبيلية، وتتحدث الرسالة في البداية عن استنجاد الباجي المتكرر بابن الأحمر حين حاصره ابن هود وكاد يغلبه وتنسب الفضل في فك الحصار وطرد ابن هود إلى ابن الأحمر، وفي هذا تقول: «لم تزل مخاطبات الباجي المنتزي بها ترد علينا متصلة، ورغباته لا تغب مفسرة ومجملة، حتى طال ذلك، وكاد يغلب على ما هنالك، فأقبلنا في جمع فرق عنه أعداءه، وحقق فيما عندنا رجاءه، وكان صاحب ثأره قد قذف جيشه الرعب في بواديه، وأخذ أسطوله بمخنق واديه، فما هو إلا أن خفقت أعلامنا على أفقه، وبثت خيلنا في شتى طرقه، حتى بدل بالخوف أمنا وصار يملأ بالنوم جفنا»[84]. وتقول رسالة ابن الأحمر في الفصل الذي يلي هذا إن الباجي لم يقنع بهذا العون من حليفه وصهره وطلب منه أن يتنازل له عن بعض البلدان

(82) اختصار القدح المعلى : 112.

(83) العبر 6 : 611.

(84) اختصار القدح : 67.

التي تحيط بإشبيلية وأنه وعده بالنظر في ذلك، ولكن حدث بعد ذلك – حسب قوله – أن بعض الإشبيليين أغروا ابن الأحمر بالتخلص منه وأخذ ما في يده نظرا لأنه ليس من أهل الحرب والضرب، فاستجاب لهذا الإغراء أخذا برأي من أهل مشورته وهكذا خلع صهره الباجي وحبسه، وهاهو نص هذا الفصل : «ثم إنه لم يقنع بذلك المقدار، ورغب أن يأخذ منا ما حف بمدينته من تلك الأقطار، فأعدنا له الامتنان، ولم نثن عن غاية غرضه العنان، فبينا نحن في هذه المحاولة، إذ خرج إلينا من وجوه بلده من طاولنا في نزعه مما لا تقوم به أية مطاولة، وقالوا: من أين لرب القلم، النهوض بالسيف والعلم، وكيف لصاحب المحبرة والكتاب، محاربة الكتائب وضرب الرقاب، وكان لدينا من أهل المشورة والرأي من حرضنا على الإصغاءلكلامهم، ومداواة ما تشكوه من آلامهم، فعطفنا عليه عطفة المامون على الأمين[85]، وتلقينا الراية التي لم يخلق لها باليمين[86]، وتهافتت الخاصة والعامة بشعار أرجونة العالية[87]، وفتحوا لنا باب جهور[88] فلم نصل لقصوره إلا وهي خالية، وبتنا تلك الليلة نناغي هذه الحصان

(85) يعني أنه قتله كما قتل المامون أخاه الأمين .

(86) فيه إشارة قول الشاعر :

إذما راية رفعت لمجد *** تلقاها عرابة باليمين

(87) يشير إلى شعار بنى الأحمر الموجود في جدران الحمراء، وهو « لا غالب إلا الله» وأرجونة اسم البلدة التي خرج منها بنو الأحمر .

(88) من أشهر أبواب إشبيلية .

التي لا تسلم محبا ولا تخون وأصبحنا يقرأ علينا بيعة أهلها وبيعة ما حولها من المعاقل والحصون»[89].

ومن الواضح أن هذا الكلام لا يحمل على الصدق ولا يثبت أمام النقد، فقد أجمعت الإشارات التاريخية على أن ابن الأحمر غدر حليفه وصهره ولم يرقب فيه إلا ولا ذمة، وهاهو يبرر إقدامه على قتله بقوله : «وكان قصدنا إبقاء ذلك المخلوع، فليس لنا قبله ثأر ولا هو ممن يخاف منه غائلة الرجوع، فأبى أهل بلده، إلا مفارقة روحه لجسده، وقالوا : «وأي امرئ سمى بها نفسه، ففارقها حتى يفارق رمسه، وكيف يترك من خفقت على رأسه البنود، وصرخت بالسلام عليه الجنود، هذا مع ما قبله من ثأر ابن مقنع وابن عيسى حين طاف برؤوسهما، وهتك جنده جميع مستورهما، ولم يرع اغترابهما وجواره، حتى حكم فيهما على رغم الوفاء شفاره، ولما أكثروا من الاحتجاج على أن الراحة منه عين الصواب، وكلناه إلى رأيهم وعند الله الثواب والعقاب»[90].

إن أصدق شيئ في هذا الكلام المحبوك هو هذه الجملة «وعند الله الثواب والعقاب» وأما ما سوى ذلك فإنه مخالف لما ذكره المؤرخون، ومنهم ابن عذارى الذي يقول : «وفي هذه السنة وهي سنة اثنين وثلاثين وستمائة كان توجه الأمير أبي عبد الله محمد بن يوسف بن نصر إلى مدينة إشبيلية فدخلها بحيلة دبرها وعملها، وقتل شيخها الباجي غدرا

(89) اختصار القدح :67 .

(90) نفسه :68 ولم نقف على شيء من خبر ابن مقنع وابن عيسى .

ومكرا، وحصل في القصبة فسكنها شهرا، فاجتمع أهل إشبيلية في ليلة عينوها لاجتماعهم ورجعوا إليهم بأجمعهم فأخرجوه من القصبة وأذاقوه نكالا وشرا»[91]، وكما أخرج من إشبيلية أخرج من قرطبة، وهكذا رجع ابن الأحمر من هذه المحاولة الأولى في تاريخه بخفي حنين ولم يكسب من هذه الحركة إلا إزهاق الأرواح وترويع الناس، ولهذا سكت عنها مؤرخو الدولة النصرية واكتفوا بإشارة سريعة إليها كقول ابن الخطيب : «وتملك إشبيلية وقرطبة برهة يسيرة ثم خرجتا عن نظره في خبر طويل»[92]. ورجعت إشبيلية وقرطبة إلى طاعة ابن هود فأما قرطبة فلم تمر شهور حتى هاجمتها جيوش القشتاليين وحاصروها إلى أن استولوا عليها وأخرجوا أهلها وكان هذا في آخر شوال من سنة 633هـ[93].

4 – وأما إشبيلية فلاشك أن صدمة الباجيين اللخميين فيها كانت قوية ومحنتهم كبيرة وقد خاف من هذه المحنة حتى بعض بني الباجي اللخميين المقيمين في مدن أخرى ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن أحمد بن الراوية أبي محمد عبد الله ابن محمد ابن شريعة اللخمي الباجي. قال فيه ابن عبد الملك: «خضراوي إشبيلي الأصل، وبها أهل بيته وانتقل سلف هذا منها صحبة الراضي أبي خالد يزيد بن المعتمد محمد بن

(91) البيان المعرب : 330 .

(92) اللمحة البدرية :43 .

(93) البيان المعرب : 331 .

عباد حين وليها من قبل أبيه قبل الثمانين وأربع مائة» وذكر القاسم التجيبي أن أبا الحسن هذا ولد سنة 569هـ ودرس على عدد من الشيوخ سماهم، وولي الصلاة والخطبة بالجزيرة ثم ولي قضاءها وتوفي ممتحنا بالإستخفاء خائفا من السلطان في سنة 635هـ، ولعل المراد بالسلطان هذا أبو عبد الله محمد ابن الأحمر الذي اغتال الباجي المعتضد بالله كما تقدم.، ولا شك أن محنة أبي مروان عم المؤيد وعميد الأسرة لم تكن هينة ولكنها كانت محنة نفسية فقط على ما يظهر، إذ أنه كان بعيدا عن الوظائف منذ أن تخلى عن خطة قضاء الجماعة عند ظهور ابن هود، والذي كان يتولى هذه الخطة بإشبيلية في إمارة أبي مروان المؤيد هو الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الرحمان الزهري الإشبيلي(94)، ويبدو أن مكانة أبي مروان العلمية وهيبته الدينية وشمائله الخلقية عصمته من الأذى وجعلت الناس يرعون حرمته ويحفظون قدره، فلم يصبه شيء في خاصة نفسه خلال المحنة المذكورة، فقد رأينا أن أيام ابن الأحمر في إشبيلية كانت معدودة كما أن المدينة لما رجعت إلى طاعة ابن هود أسند إدارتها إلى إسماعيل ابن حجاج، وهو من البيت الحجاجي الذي تربطه الأواصر اللخمية بالبيت الباجي، وقد كان على جانب من التأدب والتسامح(95).

بيد أن ما حدث لزعماء الإمارة الباجية من استباحة لدمائهم ونهب لدورهم ثم ما جاءت به الأحداث بعد ذلك من

(94) الذيل والتكملة5 : 233–249 .

(95) اختصار القدح : 140–141.

ضياع قرطبة وما كانت تنذر به من قرب ضياع إشبيلية جعل الشيخ أبا مروان الباجي يرى أن البقاء في الأندلس من الغلط البين، ولاشك أنه كان كذلك يتطلع إلى أداء فريضة الحج، ولهذا كله قرر أن يهاجر في سبيل الله عازما على الحج وفراراً بدينه من الفتن راغبا عن صحبة أهل الدنيا» كما يقول الحافظ المنذري(96).

إننا نفهم من السطور الأولى لرحلة أبي مروان التي دونها بعض تلاميذه ووصل إلينا ملخصها في الذيل والتكملة، أنه قرر الخروج من إشبيلية والأندلس بنية الحج وعدم العودة، ولهذا صفى أموره كلها وأبرأ ذمته، وتصرف في الأملاك التي كانت له في إشبيلية وغيرها بمختلف وجوه التصرف من بيع وتصيير وتحبيس وغير ذلك، ووثق هذا كله بإشهاد العدول عليه، ثم ودع المدينة التي عاش فيها أسلافه قرونا عديدة، ولاتتحدث المصادر عما إذا كان له أهل وأولاد، ولكنها تذكر حفيد أخيه الذي كان ممن رافقوه في الرحلة، وهو أبو عبد الله محمد بن أبي مروان أحمد بن القاضي أبي عبد الله ووالده هو المتآمر بإشبيلية الذي قتله ابن الأحمر.

وقد اختار أن يركب البحر كما فعل ابن جبير وغيره، ويبدو أن عددا من الأندلسيين في هذه الحقبة كانوا يفضلون ركوب البحر لأنه أقل مشقة من سفر البر، وقد كانت المراكب الجنوية وغيرها تتكفل بنقل حجاج الأندلس إلى الإسكندرية

(96) التكملة لوفيات النقلة 3: 475 .

وغيرها، ولما كانت هذه المراكب تنطلق من مدينة سبتة فقد توجه أبو مروان إثر خروجه من إشبيلية إلى سبتة، ويبدو أنه كان له فيها تلاميذ وأحباب، ومنهم أبو عبد الله بن الخضار الذي كان شابا في الثالثة والعشرين من عمره[97].

مكث أبو مروان في سبتة تسعة شهور في الإعداد للسفر وانتظار المراكب، وكان خلال هذه المدة يُسْمِع الحديث، وممن روى عنه بسبتة ابن الخضار وابن فرتون وأبو فارس عبد العزيز وأبو الفتوح بن فاخر وأبو زيد عبد الرحمن الإدريسي، وأبو فارس منهم وهذا الأخير سمعا على الشيخ أبي مروان صحيح البخاري بقراءته نفسه في أصله في شهر رمضان من عام 633هـ[98].

ويبدو أن أبا مروان أعجب بذكاء الشاب ابن الخضار وحذقه فاختاره رفيقا في سفره مع أنه كان ضريرا، وقد وصفه ابن عبد الملك لما رآه بسبتة بعد عودته من الرحلة بزمن فقال: «ولقيته بسبتة وحاضرته كثيرا وبايتُّه وشاهدت من ذكائه وحضور ذكره مايُقْتَضَى منه العجب، وكان تاريخيا أكمه يخترق أزقة سبتة وربضها دون اعتماد على أحد، وسايرته ببعض شوارعها فربما عطف بالترحم أو

(97) الذيل والتكملة 8 : 358.

(98) يقول ابن رشيد عن سند أبي مروان : (وهو سند لا يوجد في بلاد المغرب اليوم أعلى صفة مع أنه لا يخلو من علو مسافة) ويقول عن سماع شيخه أبي فارس الجزيري من أبي مروان : (وظفرنا من سماعه لصحيح البخاري بإسناد لا يعلم له في بلاد المغرب جلالة رجال واتصال سماع وعلو صفة مع أنه لا يخلو من علو مسافة) إفادة النصيح : 103.

الذكر على زقاق أو مقبرة عند محاذاته إياها، وأخبرت عنه بعجائب أغرب من هذا النوع»[99].

إن تعلق هذا الشاب السبتي بأستاذه أبي مروان وحرصه على مرافقته وملازمته له إلى وفاته، قد أفاده كثيرا وخرَّج منه محدثا روى عنه ابن عبد الملك وابن رشيد والقاسم بن يوسف التجيبي وغيرهم[100] وقد قرأ ابن الخضار هذا على شيخه أبي مروان بعض الكتب في الفقه والحديث وهما متوجهان إلى الحجاز أو عائدان منه، فقد حدث أن المركب الرومي الذي ركبه أبو مروان ومن معه اضطر إلى الوقوف بمرسى سرقوسة إحدى مدن جزيرة صقلية فدخل أبو مروان هذه المدينة النصرانية هو ومن معه وأقام بها أياما، وهنا في هذا البلد الذي كان من بلاد الإسلام وأصبح من ديار الكفر نجد ابن الخضار يروي عن شيخه أحد الكتب الطريفة وهو كتاب «النظر في أحكام النظر» لأبي الحسن علي ابن القطان، قال القاسم التجيبي في برنامجه عند ذكره هذا الكتاب: «سمعت جميعه كاملا في خمسة مجالس آخرها يوم الاثنين الرابع عشر من شوال من سنة ثلاث وتسعين وستمائة على التاريخي الحافظ الحاج ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي رحمه الله تعالى بحق سماعه من أوله إلى أثناء الباب السابع منه على القاضي الأجل أبي مروان محمد بن

(99) الذيل والتكملة 8 : 358

(100) انظر مقدمتنا للسفر الثامن من الذيل والتكملة 8 : 143(101) برنامج التجيبي: 272.

أحمد بن عبد الملك اللخمي ثم الباجي بلفظ أبي مروان المذكور، وذلك بمدينة سرقوسة من مدن صقلية سنة أربع وثلاثين وستمائة، وأجازه سائره بحق قراءته لجميعه كاملا بلفظه على مؤلفه المذكور رحم الله جميعهم»[101]. وتحت عنوان «المختصر المرسوم برائع الدرر، ورائق الزهر، في أخبار خير البشر، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم» تصنيف أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي رحمه الله تعالى، يقول المحدث السبتي المذكور في الكتاب نفسه : «سمعت جميعه عودا على بدء وقرأته أيضا بلفظي على الشيخ الثبت التاريخي الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير التلمساني المولد السبتي الاستيطان المعروف بابن الخضار رحمه الله تعالى بحق قراءته لجميعه بلفظه من حفظه وبسماعه أيضا له غير مرة على الشيخ الفقيه الجليل المحدث أبي مروان محمد بن أبي عمر أحمد بن أبي مروان عبد الملك اللخمي ثم الباجي رحمه الله تعالى منها مرة بسرقوسة من مدن صقلية في عام أربع وثلاثين وستمائة، ومنها مرة بدندرة من صعيد مصر في عام خمس وثلاثين، بحق سماعه على الفاضلين أبوي القاسم عبدي الرحمان : ابن حبيش والسهيلي بسماعهما على القاضي أبي بكر ابن العربي الحافظ بسماعه من نصربن إبراهيم بسماعه من أبي الفتح الرازي بسماعه من أبي الحسين مولفه»[102].

(101) برنامج التجيبي : 272.

(102) [illegible] 135.

ونجد هذا الحرص على الرواية والقراءة في طريق العودة من الحج كذلك، ومع أن القافلة التي كان فيها أبو مروان ومن معه تعرضت لغارة اللصوص في صحراء عيذاب، ووصلت إلى دندرة بعد نصب وعذاب، فإن هذا كله لم يصرف الأكمه السبتي عن السماع من شيخه الذي أجهده ولاشك هذا السفر الشاق، فما إن وصلت الجماعة إلى دندرة – وهي مدينة من مدن الصعيد– حتى وجدنا ابن الخضار يعود إلى سماع كتاب ابن فارس في السيرة مرة أخرى على شيخه أبي مروان يروي عنه كتاب الزكاة من تأليف الحافظ أبي بكر بن الجد، وهنا أيضا نرجع إلى برنامج التجيبي، قال بعد تسمية الكتاب : «سمعت جميعه كاملا بسبتة على التاريخي الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الكتامي رحمه الله في مجلسين: آخرهما يوم الجمعة الخامس والعشرين لذي القعدة من سنة إحدى وتسعين وستمائة بحق سماعه لجميعه من القاضي أبي مروان محمد ابن الشيخ الفقيه أبي عمر بن عبد الملك الباجي ثم الإشبيلي بدندرة من صعيد مصر في يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الأول المبارك من عام خمسة وثلاثين وستمائة بحق سماعه من مؤلفه رحم الله جميعهم»[103] وقد ورد في التكملة لوفيات النقلة أن أبا مروان «حدث بذروى من صعيد مصر عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن الجد الفهري وغيره»[104] وذروى هذه كانت تعرف بذروة الشريف[105].

(103) برنامج التجيبي : 242.

(104) التكملة لوفيات النقلة3 : 475.

(105) التعريف بالمصطلح الشريف : 270–271.

إن نشاط أبي مروان ومن معه في القراءات والإقراء كان كبيرا في دمشق، فقد وصل إليها قادما من عكا التي وقف بها المركب الذي حِمله من سبتة، ونزل بالمدرسة العادلية وكان حلوله بدمشق من الأحداث التاريخية التي عني بتسجيلها المؤرخ ابن أبي شامة قال في ذيل الروضتين متحدثا عن سنة 634 هـ :

«وفيها : قدم دمشق الشيخ الفاضل الأصيل القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن احمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الأندلسي الإشبيلي من بيت كبير من الأندلس يعرف ببيت الباجي مشهور به. كثير العلماء والفضلاء، أصلهم من ناحية القيروان، وليس منهم أبو الوليد الباجي الفقيه، ذاك بيت آخر من ناحية الأندلس، قدم أبو مروان حاجا من بلاده في البحر إلى عكا من ساحل دمشق، ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان من هذه السنة، ونزل عندنا بالمدرسة العادلية، وجده الأعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قدم الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد بن أحمد ويعرف بصاحب الوثائق، وسمعوا بها جماعة من العلماء. وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله هذا في تاريخه «جذوة المقتبس» وكناه أبا عمر وذكر أنه سكن إشبيلية، وأثنى عليه كثيرا، وقال : مات في حدود الأربعمائة[106]. روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره. وأبو عبد

(106) جذوة المقتبس 120–121 (تحقيق ابت تاويت الطنجي) .

الله بن محمد بن علي يعرف بالرواية، وذكره الحميدى ايضا[107]. وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة : عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال : توفي في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة[108]، وكان هذا أبو مروان سلمه الله حسن الأخلاق، فاضلا، متواضعا، محسنا. وسمعته يقول وقد سئل في إعارة شيء فبادر إليه بنفسه ثم قال : أنا عندي في قوله تعالى : (ويمنعون الماعون) هو كل شيء. واستفدنا من هذا الباجي فائدة جليلة وهي معاينة قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه عندهم متوارث، وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه «المحلى»[109] عايرته والحمد لله أنا بدمشق حينئذ وهو الكيل الكبير، فوجدت مدنا يسع صاعين إلا يسيرا ووجدته ممسوحا يسع صاعا ونصفا او شيئا فيكون مدان ممسوحان ثلاثة اصبع زائدة . عندى طاسة بيضاء صغيرة عايرتها تسع مدين وهما نصف صاع.

قرأت في كتاب «المحلى» لابن حزم : وخرِط لى مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله ابن علي الباجي، وهو عند أكبرهم لا يفارق داره. أخرجه إلى يعنى الذي كلفته ذلك عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي المذكور. وذكر أنه مد أبيه؛ وأن جده أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد، وأخبر أحمد ابن خالد أنه خرطه على مد يحيى الذي أعطاه إياه ابنه

(107) جذوة المقتبس : 233–134.

(108) الصلة : 347 – 348 .

(109) المحلى 5 : 245 –246 .

عبيد الله بن يحيى. وخرطه يحيى على مد مالك . قال أبو محمد : ولا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضاً على محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة.[110] قال أبو محمد: ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة وكلته بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أوقية سألت عن الرطل الفلفلى فقيل لي هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفي تقدير ابن حزم نظر والله أعلم.

توفي هذا الشيخ رحمه الله بمدينة القاهرة سنة خمس وثلاثين بعد رجوعه من الحج أتانا خبره بدمشق».

لقد أقام أبو مروان في دمشق حوالي شهر ونصف، وهي مدة قصيرة ولكنها كانت حافلة بالفوائد والإفادات، وكان ممن لقيهم خلال هذه المدة المحدث أبو عمرو ابن الصلاح الشهرزوري وأبو نصر ابن مميل الشيرازي، قال ابن عبد الملك «وسمع بدمشق على نزيلها المحدث الشهير أبي عمرو عثمان ابن الصلاح تأليفه في علوم الحديث، وهذا الأصل الذي سمع فيه قد صار إلي والحمد الله وفيه خط ابن الصلاح بتصحيح التسميع[111]، وقد تضمن إذنه في روايته عنه لكل من حصل منه على نسخة، فانتسخه منه جماعة من جلة أهل العلم

(110) المحلى 5 : 246

(111) أشارت الدكتورة عائشة عبد الرحمان في مقدمة تحقيقها لمقدمة ابن الصلاح إلى هذا الأصل الذي امتلكه ابن عبد الملك (انظر : 39 وما بعدها، طبعة دار المعرف 1990) .

ونبلائهم منهم أبو الحسن الشاري[112] وأبو عمرو عثمان ابن الحاج[113] وأبو القاسم أحمد بن نبيل[114] وغيرهم، ونسخت منه نسخةً لبعض الأصحاب لأمر اقتضى ذلك لم يسع خلافه»[115] وقال بعد هذا : «وأخذ بدمشق أيضا قراءة منه عن أبي نصر محمد بن هبة الله بن مميل الشيرازي»[116].

ومن المحدثين الذين لقيهم بدمشق أيضا تقي الدين عبد الرحمان اليلداني الدمشقي[117].

أما الذين سمعوا من أبي مروان في دمشق فهم جماعة ومعظمهم من أهل إشبيلية، ومنهم الحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي[118] وأبو الحسن علي ابن أحمد المعروف بالقسطار الإشبيلي[119]، وأبو الحسن ابن يريم الإشبيلي[120]، وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الحجام[121]. وقد أجمل ابن رشيد الكلام في هذا

(112) ترجمة أبي الحسن الشاري في التكملة رقم 1922, وصلة الصلة رقم 300, وبرنامج الرعيني 74–76, والذيل والتكملة8 : 196, والإحاطة4 : 187–190.

(113) الذيل والتكملة 5 : 137–138.

(114) نفسه 1 : 553 .

(115) لعله يقصد ابن رشيد السبتي .

(116) ترجمة في الوافي بالوفايات 5 : 157–158, وطبقات السبكي 43.5, إفادة النصيح : 115–118.

(117) ترجمته في الوافي 18 : 176 - 177 .

(118) الوافي 5: 252 .

(119) ترجمته والتكملة رقم 1906 ، والذيل والتكملة 5 : 175.

(120) الذيل والتكملة 5 : 183. وانظر في بني يريم : الذيل والتكملة5 : 469و6: 326 .

(121) صلة الصلة3: 151, ورحلة ابن رشيد 2 : 132–148–409, وبرنامج الوادي آشي: 52–66–235, والذيل والتكملة8 : 266.

الموضوع فقال : «وسمع عليه بها وبغيرها من بلاد المشرق، وأجله أهلها وبالغوا في مبرته وإكرامه»[122]. وذكر المنذري أنه كان موجودابدمشق عندما قدم أبو مروان إليها وتأسف لكونه لم يتفق له الاجتماع به[123].

5 – إن الذي استفاد من وجود أبي مروان في دمشق فائدة كبرى هو ابن أبي أصيبعة مؤلف كتاب عيون الأنباء، فقد اعتمد عليه في تراجم عدد من أطباء الأندلس وروى عنه أخبارهم، وقد كان موفق الدين في الرابعة والثلاثين من عمره يشتغل بتصنيف كتابه في طبقات الأطباء، ويهتم بجمع مادته، فلما سمع بوصول أبي مروان إلى دمشق سعى إليه واغتنمها فرصة لسؤاله عن مشاهير الأطباء بالأندلس في وقته، فأفاده بتلك الفوائد القيمة التي اكتملت بها حلقات كتابه الذي أهداه إلى أمين الدولة أبي الحسن ابن غزال سنة 634هـ[124]، ويظهر من الأخبار التي رواها ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان أن هذا كان عارفا بأخبار أهل عصره مطلعا على أحوالهم بالمجاورة والمخالطة، فقد كان بين أسرته وأسرة بني زهر صلات متينة من الصداقة والمشيخة العلمية والمصاهرة، يقول ابن أبي أصيبعة : «وحدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي من أهل إشبيلية قال : قال لي الشيخ الوزير الحكيم أبو بكر ابن زهر إنه لازم

(122) إفادة النصيح : 103.

(123) التكملة لوفياة النقلة 3: 475 .

(124) عيون الأنباء 3 : 386–388.

جدي عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه، وقرأ عليه كتاب المدونة لسحنون في مذهب مالك وقرأ أيضا عليه مسند ابن أبي شيبة»[125] ويقول أيضا: «وحدثني أيضا القاضي أبو مروان الباجي عن أبي بكر ابن زهر أنه كان شديد البأس يجذب قوسا ذات مائة وخمسين رطلا والرطل الذي بإشبيلية ستة عشر أوقية وكل أوقية عشرة دراهم وأنه كان جيد اللعب بالشطرنج جدا ولم يكن في زمانه أحد مثله في صناعة الطب..»[126]. وأما المصاهرة بين البيتين فهي أن أبا مروان أحمد ابن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي تزوج ببنت أبي محمد عبد الله ابن الحفيد أبي بكر بن زهر ورزق منها ولدا هو أبو عبد الله محمد الذي رافق عم والده في رحلته، ووالده هو الذي تأمر بإشبيلية مدة تسعة أشهر وغدره حليفه وصهره ابن الأحمر فقتله في سنة 630هـ، وكان عمره إذ داك سبعا وثلاثين سنة[127]، وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما تقدم، وقد روى ابن أبي أصيبعة عن حفيد أخي أبي مروان هذا بعض موشحات جده للأم أبي بكر ابن زهر[128].

ومثلما روى ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان أخبار ابن زهر الحفيد الذي كان أكبر بكثير من أبي مروان روى أيضا

(125) عيون الأنباء 3 : 110.

(126) نفسه .

(127) نفسه3: 115.

(128) نفسه : 115–119.

عن أبي مروان أخبار أبي محمد عبد الله ولد الحفيد بن زهر، وكان أصغر منه بقليل قال : «ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال : كنت يوما عنده وإذا به قد قال لي إنني رأيت البارحة في النوم أختي، وكانت أخته قد ماتت قبله قال : وكأني قلت لها : ياأختي بالله عرفيني كم يكون عمري ؟ فقالت : يكون طابيتين ونصفا، والطابية هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الإسم، طولها عشرة أشبار- فقلت لها : أنا أقول لك جدا وأنت تجيبينني بالهزء، فقالت لا والله ما قلت لك إلا جدا، وإنما أنت ما فهمت، أليست الطابية عشرة أشبار، والطابيتين ونصفا خمسة وعشرين، يكون عمرك خمسا وعشرين سنة. قال القاضي أبو مروان : فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا فلعله أضغات أحلام، قال: ولم تكمل تلك السنة إلا وقد مات، فكان عمره كما قيل خمسا وعشرين سنة لا تزيد ولا تنقص»[129].

وعن أبي مروان الباجي روى ابن أبي أصيبعة كذلك أخبار أبي الوليد ابن رشد الحفيد[130] وولده أبي محمد[131]، وأخبار أبي الحجاج يوسف بن مرطير[132]، وأخبار الطبيب الفقيه أبي بكر ولد القاضي أبي الحسن الزهري[133]، وغيرهم وسنرى ذلك في النصوص الملحقة بهذا البحث.

---

(130) عيون الأنباء : 122-126.

(131) نفسه: 127.

(132) نفسه: 127-128.

(133) نفسه: 131.

إن الأخبار التي سمعها مؤيد الدين من أبي مروان ونها بدقة وأمانة لا تتعلق بأخبار أولئك الأطباء فحسب، ـما يوجد في ثناياها إشارات إلى أحوال وحوادث وقعت في ـهد الموحدي، فمن ذلك إشارات إلى الترتيب الذي كان ـمولا به في مجلس الخليفة المنصور والترتيب المعمول به ـ مجلس ولده الناصر، ونورد هنا ما يتعلق بهذا الأخير، قال ـن أبي أصيبعة : «حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : ـا توجه أبو محمد عبد الله بن الحفيد ابن زهر إلى الحضرة ـني مدينة مراكش خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في ـطريق نحو عشرة آلاف دينار، قال : ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدية لما فتحها الناصر خدمه على ماجرت به العادة، وقال له : إنني يا أمير المومنين بحمد الله وبكل خير ـن إنعامكم وإحسانكم علي وعلى آبائي وقد وصل إلي مما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما اتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي وأن أجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المومنين، فأكرمه الناصر اكراما كثيرا، وأطلق عليه من الأموال والنعم ما يفوق الوصف، كان مجلسه إذا حضر قريبا منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد.

فكان يجلس إلى جانب الخليفة الناصر : الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي يوسف حجاج القاضي، وكان يجلس تلوه القاضي الشريف أبو عبد الله الحسيني وكان يجلس تلوه أبو عبد الله محمد بن الحفيد أبي بكر بن

زهر، وكان يجلس إلى جانبه أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية»[134].

ومن الخبايا التي كشف عنها أبو مروان سبب وفاة أبي بكر ابن زهر الحفيد، قال ابن أبي أصيبعة : «وحدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كان أبو زيد عبد الرحمان ابن يوجان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر ابن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه، فاحتال عليه في سم صيره مع أحد من كان عند الحفيد ابن زهر فقدمه إلى الحفيد ابن زهر في بيض، وكانت مع الحفيد أيضا بنت أخته، - وكانت أخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة،ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور ولا يقبل (يعني يولّد) للمنصور وأهله ولدا إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها- فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت أخته ماتا جميعا ولم ينفع فيهما علاج، قال : ولم يمت أبو زيد عبد الرحمان ابن يوجان إلا مقتولا، قتله بعض أقاربه»[135]. ومن الغريب أن ولد الحفيد هذا مات كموتة والده، فقد روى ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان أيضا أن المذكور «توفي رحمه الله مسموما في سنة اثنتين وستمائة في مدينة سلا، في الجهة المسماة برباط الفتح ودفن بها، وكان متوجها إلى مراكش فاخترمه الأجل

(134) عيون الأنباء :120.

(135) نفسه : 113-114.

دونها ثم حمل من الموضع الذي دفن فيه إلى إشبيلية ودفن عند آبائه بإشبيلية خارج باب الفتوح، فكانت مدة حياته خمسا وعشرين سنة»[136]. إن مثل هذه الخبايا من الأمور التي يسكت عنها المؤرخون غالبا، فابن عبد الملك مثلا لا يتحدث عن شيء مما ذكر، ويكتفي بقول إن أبا بكر وصل إلى مدينة مراكش وبه شكاة عرضت له في الطريق إليها فتوفي هو وبنت أخته[137]. ونجد في ترجمة ابن رشد عند صاحب طبقات الأطباء تفصيلات وجزئيات حول أبي الوليد لا توجد في مكان آخر، وهي مروية عن أبي مروان أيضا.

ونظن أنه لولا مناسبة لقاء ابن أبي أصيبعة بأبي مروان لبقيت تلك المعلومات مجهولة، ولهذا يرجع الفضل في تدوينها إلى مؤيد الدين، ويبدو من أسلوبها العفوي أن أبا مروان كان يمليها من صدره دون رجوع إلى أوراق مع أنها تشتمل على تواريخ وأسماء أعلام وأماكن وكتب متعددة. ولعل هذا الشيخ الإشبيلي النبيل كان يعطي عطاء أكثر لو امتد به العمر وتحققت رغبة الملك الكامل في ولايته مشيخة دور الحديث في مصر ولكن الله سبحانه استجاب لدعائه فكان ذلك كرامة من كراماته.

6 - ونعود بعد هذه النبذة في سيرة أبي مروان إلى الكلام على رحلته فنلاحظ أنها من حيث الترتيب التاريخي ثالث رحلة أندلسية مدونة بعد رحلة أبي بكر ابن العربي وأبي

(136) عيون الأنباء :121.

(137) الذيل والتكملة 6 :403 .

الحسين ابن جبير، ومما يؤسف له أن التقييد الذي وضع لهذه الرحلة لم يصل إلينا، وكل ما لدينا الآن هو تلخيص لهذا التقييد ورد في آخر ترجمة أبي مروان في كتاب الذيل والتكملة، أما تقييد الرحلة فقد كان من عمل أحد تلاميذ أبي مروان وهو أبو عمرو عثمان بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يوسف بن أحمد ابن العوام الإشبيلي، عرف به ابن عبد الملك فقال : «روى عن أبي مروان، محمد بن أحمد الباجي، وقيد رحلته في رسالة سماها: «الرحلة الباجية» والعروس التاجية»[138]، وذكر أن هذه الرسالة كانت مثار كلام بينه وبين أديب آخر هو أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن زرقون الإشبيلي[139]، فقد ساجل هذا بلديه ومعاصره ابن العوام فكتب رسالة ثانية وسماها «بالرسالة التبريزية، في الصلة الإبريزية للرحلة الباجية، والعروس التاجية» وضمنها ما دار بينه وبين أبي العباس بن عبد الوهاب بن زرقون المذكور من مكاتبات ابتداء وجوابا[140].

وقد انفرد ابن عبد الملك بالتعريف بهذين الإشبيليين الذين لا يعرف مصيرهما بعد خروج المسلمين من إشبيلية، ويفهم من كلامه أنه وقف على الرحلة الباجية والرسالة الأخرى بدليل وصفه لمضمنهما، ولكن ابن عبد الملك في ترجمة أبي مروان الباجي لا ينص على مصدره فيما ساقه

(138) الذيل والتكملة 5 :132.

(139) نفسه 1 : 276 .

(140) نفسه.

من مراحل رحلة أبي مروان وأخبار رحلته، ولا يذكر أنه لخص ذلك من رسالة الرحلة الباجية لابن العوام، كما أنه لا ينص على أن هذا كان ممن رافقوا أبا مروان أو أنه شرق وحج، ولهذا فإننا لا نعرف كيف دون ابن العوام رحلة الباجي، ومن الغريب أن ابن رشيد الذي ترجم لأبي مروان ورفيق طريقه ابن الخضار لم يشر بشيء إلى تدوين الرحلة واقتصر على ذكر مراحلهاباختصار شديد[141]، ويبدو أن ابن عبد الملك كان أكثر اطلاعا على أخبار هذا الموضوع، فقد صارت إليه أكبر ثمرة من ثمرات هذه الرحلة وهو أصل مقدمة ابن الصلاح الذي سمعه أبو مروان عليه، كما أنه سمع ولا شك أخبار الرحلة من ابن الخضار في الأيام والليالي التي قضاها معه في سبتة[142]، ومهما يكن من أمر الرحلة وتدوينها فإن الفضل فيما وصل إلينا منها يرجع إلى ابن عبد الملك المعروف باستطراداته المفيدة التي يمتاز بها كتابه الذيل والتكملة، وخط سير هذه الرحلة يذكرنا في بدايته بخط رحلة ابن جبير، فهو يبدأ من سبتة في مركب رومي لعله كان – كمركب ابن جبير – للروم الجنويين، وقطع مثله المسافة من سبتة إلى منورقة في ثمانية مجار – والمجرى مائة ميل[143]– ويستمر التشابه في خط السير بين المركبين في المرور على سردانية وصقلية واقريطش، ومن هنا يختلف

(141) يقول ابن رشيد : إنه روى خبر الرحلة عن ابن الخضار . إفادة النصيح : 104.

(142) الذيل والتكملة8 : 385 .

(143) رحلة ابن جبير : 3 تحقيق حسين نصار .

الاتجاه، فمركب ابن جبير كانت وجهته إلى الإسكندرية، أما مركب أبي مروان فكانت وجهته إلى عكا، ولعل السبب في اختلاف الوجهة أن أبا مروان كان يريد أن يحج في نفس السنة التي خرج فيها من الأندلس،

ولهذا كان خروجه في شهر ربيع الآخر سنة 633هـ فكان أمامه من الوقت ما يكفي للحاق موسم الحج في هذه السنة، وأما ابن جبير فكان خروجه في فاتح ذي القعدة سنة 578هـ بنية الحج في السنة التي تليها، ولهذا كان لديه وقت لزيارة مصر والإقامة بمكة المكرمة قبل حلول موسم 579هـ.

ويبدو أن أبا مروان الذي قرأ رحلة ابن جبير أخذ بنصيحته، فقد وصف هذا ما كان يلقاه الحجاج من عذاب عندما يمرون من طريق الصعيد وعيذاب والبحر الأحمر، ونصح بعدم سلوكها، وقال : «والأولى لمن يمكنه ذلك أن لا يراها وأن يكون طريقه على الشام أو على العراق، ويصل مع أمير الحاج البغدادي، وإن لم يمكنه ذلك أولا، فيمكنه آخرا عند انفضاض الحجاج أن يتوجه مع أمير الحاج المذكور إلى بغداد، ومنها إلى عكا، فإن شاء دخل منها إلى الإسكندرية وإن شاء إلى صقلية أو سواهما، ويمكن أن يجد مركبا من الروم يقلع إلى سبتة أو سواهما من بلاد المسلمين وإن طال طريقه بهذا التحليق فيهون لما يلقى بعيذاب ونحوها»(144).

عمل أبو مروان بنصيحة ابن جبير هذه فقصد عكا، ومنها إلى دمشق ولم يرد في تلخيص ابن عبد الملك ذكر

(144) رحلة ابن جبير : 45 والتحليق : الدوران .

المراحل بينهما، وإنما ورد عنده أنه قطع المسافة في 21 يوما، ولعلها مثل المراحل التي ذكرها ابن جبير من دمشق إلى عكا وهي : دمشق داريا وبيت جن وبانياس وهونين وتبنين وعكا(145)، ولكن ابن جبير يقول إنه قطع هذه المراحل في خمسة أيام، فهل يكون أبو مروان توقف في مرحلة من هذه المراحل بسبب ما ؟ أم أنه سلك طريقا غير هذا الطريق ؟

ويبدو أنه توقف في بلدة صرخد، ولعل اجتماعه بالطبيب الناشئ ابن أبي أصيبعة تم في هذه البلدة، ونفهم هذا من قول مؤيد الدين المذكور : «وكنت أنا قد انتقلت" يعني من دمشق" إلى صرخد في خدمة صاحبها الأمير عز الدين المعظمي في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة»(146)، ومعنى هذا أنه لم يكن موجودا في دمشق عندما حل بها أبو مروان في شهر رمضان السنة المذكورة، من السنة المذكورة، ويجوز القول أيضا بأن مؤيد الدين كان يسافر خلال تلك المدة من صرخد إلى دمشق للسماع من أبي مروان، والله أعلم بحقيقة الأمر.

لقد مكث أبو مروان في دمشق أزيد من شهر كما سبق ذكره، وذلك ليغتنمها مناسبة لسماع الحديث وإسماعه، وليتيح ذلك أيضا للذين يرافقونه في الرحلة. وقد كان من حسن حظ أبي مروان أن يصحب الركب الشامي إلى الحج الذي خرج من دمشق في منتصف شوال سنة 634 هـ وكان قد مضى

(145) رحلة ابن جبير : 289–293 .

(146) عيون الأنباء 3 : 364 .

عليه سبعة أعوام لم يتوجه إلى مكة[147]، وحسب ملخص الرحلة فإن الركب قطع المسافة من دمشق إلى بصرى في أربعة أيام ومنها إلى الأزرق إلى تيماء إلى خيبر إلى المدينة المنورة، وقد ورد ذكر طريق الركب الشامي مفصلا في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة»[148]، ومراحله أكثر مما ذكر في الملخص[149]، ولعل من لخص الرحلة الباجية اقتصر على أسماء المراحل الكبرى.

ولما وصل أبو مروان إلى المدينة المنورة بادر بالذهاب إلى المسجد النبوي وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقام بالمدينة يومين ثم انفصل عن المركب الشامي وسار إلى وادي العقيق وبير علي وذي الحليفة، ومن هنا أحرم لأن ذا الحليفة – ويسميه الحجاج بير علي – هو ميقات الحاج الشامي ومن يمر على المدينة، ثم تقدم إلى شعب علي إلى بدر إلى الجحفة إلى بطن مر إلى مكة المكرمة[150]، وكان وصوله إليها لأربع خلون من ذي الحجة، وقد نزل بالأبطح كي يكون قريبا من باب بني شيبة، وهو أول أبواب المسجد الحرام للداخل مما يلي الأبطح، ومنه كان دخول الخلفاء، وجاء في رحلة ابن جبير أن «كل وافد إلى مكة شرفها الله يدخلها

(147) في الدرر الفرائد المنظمة أن هذه السنوات تبدأ من سنة 625هـ (01 590) .

(148) أعدها للنشر الشيخ حمد الجاسر، وهي من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر – الرياض– المملكة العربية السعودية .

(149) انظر الملخص في الملحق رقم 6 .

(150) انظر ملخص الرحلة في الملحق رقم 6 .

عمرة يستحب له الدخول على باب بني شبية ثم يطوف سبعا ويخرج على باب الصفا»[151]، والدخول من باب بني شيبة هو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[152].

ولما أتم أبو مروان مناسك الحج انتقل إلى دار إمام المالكية عند باب العمرة، وهذا الباب يخرج عليه المعتمرون يومئذ إلى التنعيم، وهو أقرب المواقيت إلى مكة للمعتمرين ولهذا سمي باب العمرة[153]. وإمام المالكية الذي نزل أبو مروان في داره هو أبو البركات عمر بن محمد التوزري الذي ولي الإمامة في سنة 614 هـ وظل إماما للمالكية في الحرم المكي إلى وفاته سنة 644هـ[154]، وبقيت الإمامة في ولده وولد ولده[155].

ولم يرد في ملخص الرحلة الباجية في الذيل والتكملة، ولا في غيرها ما يشير إلى أي نشاط عملي لأبي مروان في المدينة ومكة، ويبدو أنه تفرغ تماما لأداء المناسك والعبادة خلال الأيام المعدودات من ذي الحجة.

وجاء في الملخص المذكور أن أبا مروان كان يأمل بعد انتهاء موسم الحج أن يتوجه إلى العراق ولكن الركب العراقي الذي كان الشيخ الإشبيلي يطمع في رفقته «لم يصل إلى مكة

(151) رحلة ابن جبير : 83 .

(152) أنس الساري والسارب : 79 .

(153) رحلة ابن بطوطة : 80 .

(154) انظر العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين 6 : 358–360 .

(155) نفسه ورحلة ابن بطوطة : 85 غير أن ابن جبير وابن بطوطة يقولان إن دار إمام المالكية عند باب إبراهيم .

تلك السنة خوفا من عادية الكافر التركي»[156]، ونجد ما يؤكد هذا في المصادر المظان، ومنها كتاب الدرر الفرائدالمنظمة، جاء فيها :

«سنة أربع وثلاثين وستمائة : لم يحج العراقي بسبب أن الططر دخل بغداد، فجمع المستنصر العلماء وسألهم في ترك الحج للجهاد فأفتوه بذلك»[157]، ويبدو أن أبا مروان كان يريد أن يسير على الخط الذي سار عليه ابن جبير في عودته على طريق العراق[158]، ولسنا ندري هل كان يرغب في زيارة مدن العراق والاطلاع على أحواله والتعرف على بلدانه، أم أنه كان يريد السير في حماية الركب العراقي إلى بغداد، ومنها إلى عكا، ومنها يركب إلى الإسكندرية لكي يزور مصر، ولعله كان ينوي الاستقرار بها بقية حياته، وهذا الطريق هو الذي نصح به ابن جبير تجنبا لركوب البحر الأحمر وطريق عيذاب كما سبق ذكره، ولكن شاء الله أن يعود أبو مروان على هذا الطريق ويلقى فيه ما لقي من عناء على ظهر البحر الأحمر وفي صحراء البجاة، وقد وصف ابن جبير والتجيبي السبتي ذلك العناء وقال ابن جبير : إن الركوب من جدة إلى عيذاب " آفة للحجاج عظيمة إلا الأقل منهم ممن يسلمه الله عز وجل، وذلك أن الرياح تلقيهم على الأكثر في مراس بصحار تبعد منها فينزل إليهم البجاة وهم نوع من السودان ساكنون بالجبال،

(156) انظر ملخص الرحلة في الملحق 6 والكافر التركي : التتر.

(157) الدرر الفرائذى المنظمة1 : 593 .

(158) رحلة ابن جبير : 189 وما بعدها .

يكرون منهم الجمال ويسلكون بهم غير طريق الماء، فربما هب أكثرهم عطشا وحصلوا على ما يتخلفونه من نفقة أو ـواها[159]، وقد حصل شيء من هذا لأبي مروان، ففي ملخص الرحلة أنه " ركب البحر فمالت به الريح إلى سلق في يوم ليلة فسار منها مصعدا إلى دبادب وخرج في البر وسار منها ـمانية أيام إلى عيذاب في صحراء البجاة – وهم نصارى ـود– وأقام بها نحو ثمانية وعشرين يوما، وقطع صحراءها ـي عشرين يوما إلى قنا، وكان بهذه الرفقة في نحو سبعين ـجلا، فلقيهم في تلك الصحراء قوم من النوبة دخلوها الغارة، فسلبوا الرفقة، وسار من قنا إلى قوص في يوم[160].

لا شك أن هذه المشاق أثرت في أبي مروان وأضرت بصحته، ـهو كان قد تجاوز السبعين، وعاش طول حياته في رفاهة ـن العيش، وإذا كان ابن جبير وابن سعيد – ثم التجيبي السبتي الذي قطع صحراء البجاة بعد أبي مروان – نصوا على ـموم الأمن في هذه الصحراء ونعتوا البجاة بالأمانة فإن القافلة التي كان فيها تعرضت للنهب والسلب ليس من البجاة ولكن من أهل النوبة، وقد نص ابن سعيد في جغرافيته ـلى غارات أهل النوبة أصحاب الجمال الصهب، ويقول التجيبي معلقا على أمانة البجاة : «وأما عدم خيانتهم في الأموال فليس من أمانتهم وإنما هو إبقاء على نفوسهم لأن ـيشتهم إنما هي من حمل الناس من قوص إلى عيذاب

(159) نفسه: 43 .

(160) انظر ملخص الرحلة في الملحق .

ومنها إلى قوص، فلو تعرضوا لأخذ الأموال لا نقطع هذا الطريق وماتوا جوعا»[161]. ونعود إلى الفقرة الخاصة بطريق عيذاب والصعيد في ملخص الرحلة فنلاحظ أنها لم تشتمل على أسماء جميع المراحل التي توقف بها أبو مروان ومنها دندرة وذروة، وقد سبقت الإشارة إلى هذا.

إن مشقة السفر لم تمنع أبا مروان من التحديث في البلدتين المذكورتين وفي مدينة قوص، وممن سمعوا عليه في هذه المدينة أبوا القاسم هبة الله بن عبد الله القفطي[162]، يقول التجيبي السبتي : «قرأت عليه – أي على أبي علي القفطي – رضي الله بالمدرسة السابقة من قوص المحروسة – وهي التي كان يدرس بها شيخنا الإمام تقي الدين بن دقيق العيد أيام كونه بقوص المذكورة – جميع اختصار السير المذكورة في مجلس واحد، وذلك في يوم الأحد السابع والعشرين لجمادى الآخرة من سنة ست وتسعين وستمائة بحق سماعه من أبي مروان الباجي بمدينة قوص وردها عليهم من مكة شرفها الله تعالى في سنة خمس وثلاثين بسماعه من أبي القاسم ابن حبيش وأبي القاسم السهيلي بسماعهما من أبي بكر ابن العربي بسماعه من نصر بن إبراهيم بسماعه من أبي الحسين ابن فارس مؤلفه رحمه الله»[163].

(161) مستفاد الرحلة والاغتراب : 202، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب –تونس – 1975.

(162) ترجمته في طبقات الشافعية 5 : 163، وبغية الوعاة : 408 .

(163) مستفاد الرحلة : 177.

وقد أورد المحدث التجيبي السبتي في كتابه مستفاد الرحلة والاغتراب حديثا مرويا بسنده في مدينة قوص عن أبي مروان وتلميذه ابن الخضار، ونثبته هنا بنصه لما يشتمل عليه من فوائد، يقول التجيبي : «أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام الفاضل المعمر الصدوق نخبة المصنفين بهاء الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل العذاري ثم القفطي نزيل قوص المحروسة بقراءتي عليه بالمدرسة السابقة منها في شهر جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين وستمائة، والشيخ التاريخي أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي التلمساني نزيل سبتة بقراءتي عليه عودا على بدء، قالا : أخبرنا القاضي الأجل أبوا مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي رحمه الله تعالى، قال بهاء الدين أبو القاسم قراءة علينا بلفظه بقوص قدمها علينا حاجا من مكة شرفها الله تعالى سنة خمس وثلاثين وستمائة، وقال الكتامي أبو عبد الله رحمه الله تعالى قراءة عليه بلفظي من حفظي وسماعا عليه غير مرة منها بسرقوسة من مدن صقلية في سنة أربع وثلاثين وستمائة ومنها بدندرة من صعيد مصر في عام خمس وثلاثين وستمائة قال أي أبو مروان – : أخبرنا الفقيه الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن حبيش الأنصاري رحمه الله والفقيه الحافظ أبو عبد الرحمن السهيلي الخثعمي – هو الإمام أبو القاسم وأبو الحسن وأبو زيد، ثلاث كنى، عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح

السهيلي، نزيل مالقة، وسهيل : قرية من قراها، قالا : حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، قال : حدثنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الزاهد في بيت المقدس في شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي قال : حدثنا علي بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن ماجة، قال : أخبرنا علي بن محمد الطنافسي، قال : أخبرنا وكيع، قال : أخبرنا أبي وإسرائيل عن أبي إسحاق السبيعي قال : سألت زيد بن أرقم : كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة، وغزوت معه سبع عشرة غزوة وسبقني بغزوتين»[164].

إن أبا القاسم ابن حبيش وأبا القاسم السهيلي المذكورين في السندين هما من شيوخ أبي مروان الذين أجازوا له، وقد سماهم ابن الأبار وابن عبد الملك، جاء في الذيل والتكملة : «وأجاز له أبوه وأبو حفص ابن عمر وأبو زيد السهيلي وأبو عبد الله ابن الفخار وأبو العباس ابن مقدام وأبو القاسم ابن بشكوال وأبو محمد ابن عبيد الله»[165]. وهؤلاء الشيوخ المذكورون هم أئمة الحديث الشريف بالأندلس والمغرب في زمنهم، فوالده كان – كما سبق ذكره – محدثا ولد محدث، وقد روى عنه ولده، توفي سنة 574 هـ[166]، وأبو حفص ابن عمر هو

(164) نفسه .

(165) التكملة : 637 .

(166) الذيل والتكملة1 : 263–264 .

القاضي الأغماتي الأديب المعروف الذي توفي بإشبيلية وهو قاض بها سنة 603هـ[167]، وأبو زيد السهيلي هو الإمام الكبير صاحب الروض وغيره من المؤلفات، توفي بمراكش سنة 58[...]هـ[168]، وأبو عبد الله بن الفخار هو محمد بن إبراهيم الأنصاري المالقي كان من أحفظ أهل زمانه للحديث والفقه واللغات والآداب والتواريخ. توفي سنة 590هـ[169]، وأبو العباس ابن مقدام هو أحمد بن محمد الرعيني الإشبيلي من تلاميذ ابن العربي، صحبه في توجهه لمراكش وحضر وفاته ودفنه بمدينة فاس، وقد كان مقرئا أديبا يستظهر سقط الزند المعري، توفي سنة 604هـ[170]، وأبو القاسم ابن بشكوال هو خلف بن عبد الملك الأنصاري القرطبي مؤلف كتاب الصلة وغيره، كان من شيوخ الحديث المشهورين، وقد توفي سنة 58[...]هـ[171]، وأبو محمد بن عبيد الله هو عبد الله بن محمد الحجري نزيل سبتة، سمع منه الحديث عدد كبير من الأندلسيين والمغاربة، توفي بسبتة سنة 591هـ[172].

إن إجازة هؤلاء الشيوخ وغيرهم ممن سبق ذكرهم لأبي مروان تشهد له بحظ وافر في الرواية وتدفع قول ابن الأبار أنه: «لم يكن من أهل العناية بالرواية»[173]، ومما يدل على

(167) الذيل والتكملة 8 : 222–232, التكملة رقم 1831, وصلة الصلة رقم 130.

(168) التكملة رقم 1613, وبغية الملتمس : 354,وصلة الصلة3 : 192–197, وغيرها .

(169) الذيل والتكملة6 : 87–90, وتذكرة الحفاظ : 1300.

(170) الذيل والتكملة1 : 384–385, والتكملة : 97, وغاية النهاية1 : 104.

(171) التكملة : 304–307 .

(172) التكملة رقم 2080, وبغية الملتمس : 325, وصلة الصلة 3 : 119–124.

(173) التكملة : 637 .

عناية الرجل بالرواية ونصيبه الطيب فيها إقبال جماعة من رواة الحديث على السماع منه والأخذ عنه، وقد رافقه بعضهم ـي رحلته بقصد الحج معه والرواية عنه، أشهرهم ابن الخضار الكتامي الذي ينعت بالمحدث الحافظ[174]، وهو من شيوخ ابن رشيد السبتي والقاسم التجيبي السبتي وابن عبد الملك المراكشي[175].

ولعل نبل أبي مروان ونباهة بيته وحسن صيته في بلده، وشهرة فضله لدى معاصريه، وجمعه بين العلم والعمل، هي الخصال التي جعلت الملك الكامل لما سمع به يقرر صرف النظر إليه في أمر مدارس الحديث المصرية التي كان يتولى مشيختها المحدث الحافظ أبو الخطاب عمر ابن دحية صاحب المؤلفات القيمة ولما توفي هذا سنة 633هـ «تولى النظر فيها من لا يصلح لها» حسبما في ملخص الرحلة[176]، وتلمح هذه العبارة إلى أبي سهل يونس بن يوسف القصري وهو مغربي من القصر الكبير «شرق سنة سبع عشرة أو نحوها فحظي بالقاهرة وخلف أبا الخطاب ابن دحية بعد وفاته بمدرسته[177] – يعني المدرسة الكاملية -» . أما كيف بلغ خبر أبي مروان إلى الملك الكامل فيقول فيه ملخص الرحلة ما يلي: «وكان الملك الكامل قد توجه إلى دمشق وجهاتها ذلك

(174) برنامج التجيبي : 272 .

(175) الذيل والتكملة8: 143, وبرنامج التجيبي: 272

(176) الذيل والتكملة5 : 692 .

(177) نفسه8 : 474, والمذكور مترجم أيضا في التكملة رقم 2104, وصلة الصلة: 247.

العام يحاول رد البلاد التي كانت لأخيه الأشرف إلى طاعته وافاه وهو بالواردة من طريق دمشق الخبر بأنه وصل إلى الحج رجل مغربي فاضل يعرف بالباجي وأثنوا عليه خيرا عنده»[178] . وقد كان توجه الملك الكامل المذكور لاسترجاع مشق بعد وفاة الأشرف في رابع المحرم من سنة 635هـ، نظن أن ابن أبي أصيبعة – الذي كان في خدمة صاحب سرخد في التاريخ المذكور – له دور في إذاعة فضائل أبي روان، ومثله في ذلك العلماء الأندلسيون في دمشق[179]، يبدو أن تلاميذ أبي مروان وأصحابه الذين رافقوه، كانوا جلونه ويعظمونه ويذكرون لأهل دمشق مكانته في الأندلس.

ومهما يكن من أمر فإن وصول عم أمير إشبيلية إلى مشق لم يكن ليخفى على أولياء الأمر، كما أن بني أيوب انوا يجدون في أهل العلم الوافدين عليهم من الأندلس المغرب نصراء لدولتهم، وقد تجملوا بهم في بعض الخطط الدينية كالقضاء ومشيخة مدارس الحديث التي كانت تنسب ليهم، ومنها دار الحديث الكاملية التي بناها الملك الكامل ي سنة 621هـ، وجعل أبا الخطاب ابن دحية شيخها، ولما في هذا في سنة 633هـ خلفه فيها أبو سهل القصري ولكنه م يكن في المستوى المطلوب، ولعل الملك الكامل كان يتحدث ن يصلح للمشيخة فلما بلغه خبر أبي مروان ووصفه وجد ه الرجل الذي يبحث عنه، ولهذا صدر أمره بالتفتيش عنه

) انظر الملحق رقم 6 .

) إفادة النصيح : 104.

في جميع أنحاء مملكته، وطير الحمام من بلد إلى بلد[180] في الوصاة به والإحسان إليه، وكان أبو مروان يومئذ عائدا من الحج في طريقه إلى قوص عاصمة الصعيد، ولما وصلت القافلة التي كان فيها أبو مروان إلى مشارف قوص اعترضها وفد بعثه والي المدينة للسؤال عنه، وعندما عرفوا أنه موجود مع القافلة أقبلوا يسلمون عليه ويرحبون به، ويطلبون منه أن يسير معهم إلى والي البلد،فلما اجتمع هذا به أبلغه أن الملك الكامل أمر الولاة بالترحيب به والقيام بجميع ما يلزم في حقه،ويقول ملخص الرحلة إن الوالي – الذي ربما كان من أصل مغربي– بالغ في إكرام أبي مروان والاحتفاء به، وقدم إليه هدية من حرير وغيره ولكن أبا مروان – لزهده وعفته وغنى نفسه– اعتذر عن قبول الهدية، ولما ألح عليه الوالي قبل الدنانير وهو كاره ورد الأثواب ولم يقبض هو الدنانير وإنما قبضها بعض خدمته[181]. ويبدو أنه أقام في ضيافة الوالي أياما قليلة، وقد سمع عليه بعض علماء قوص في أثناء ذلك كما أشرنا إليه سابقا، وبعد أن استراح قليلا من عناء عيذاب وصحرائها كان عليه أن يتوجه إلى القاهرة للاجتماع بالملك الكامل أو ولي عهده، ويروي بعض خواصه المرافقين له أنه مذ بلغه عزم الملك الكامل على إسناده

(180) انظر في هذا الحمام ومراكزه، كتاب التعريف بالمصطلح الشريف : 283، وحسن المحاضرة2 : 166.

(181) الذيل والتكملة5 : 692 .

مشيخة دار الحديث الكاملية إليه وهو يدعوبدعاء يقول فيه : «اللهم اقبضني إليك قبل الاجتماع به».

ويذكر ملخص الرحلة أن أبا مروان سار من قوص في النيل إلى إخميم إلى منية ابن خصيب، ولها مسجد حسن على شاطئ النيل فقال أبو مروان : «قد كنت سمعت بهذا الجامع وأريد الصلاة به فسار إليه فإذا فيه جماعة اجتمعوا لقراءة العلم فصلى به الظهر والعصر والمغرب»[182]، ونظن أن أبا مروان سمع بهذا الجامع أو قرأ عنه بالأحرى في رحلة ابن جبير التي أشرنا فيما سبق إلى قراءته لها، يقول ابن جبير في آخر كلامه على منية ابن خصيب : «وقابلنا على مقربة من هذا الموضع مياسرا لنا المسجد المبارك المنسوب لإبراهيم خليل الرحمن صلوات الله على نبينا وعليه، وهو مسجد مذكور مشهور معلوم بالبركة مقصود ويقال إن بفنائه أثر الدابة التي كان يركبها إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم»[183]. وقد شاء الله أن يكون سبب وفاة هذا الشيخ الحسيب من هذا المكان، وذلك أنه– كما يقول ملخص الرحلة : «لما هم بالانصراف تعرضه بعض أولئك الحاضرين وقد سألوا عنه فأخبروا به فأقبلوا إليه مسلمين عليه وراغبين منه في مبيته عندهم، فبات معهم وانصرف من الغد إلى السفينة وبه شكاة، وسئل عن غذائه عند أولئك الذين أضافوه فقال : ما كان إلا يسير تمر وعسل»[184]، هل نقول إن الله سبحانه

(182) انظر ملخص الرحلة في الملحق رقم 6 .

(183) رحلة ابن جبير : 28 .

(184) الذيل والتكملة5 : 639 .

استجاب لدعائه فجعل السبب في هذا الأكل الذي كانت منه وفاته؟ أم نظن – وبعد الظن إثم - أن ذلك الأكل كان مسموما؟ وهل لهذا علاقة بالمنصب المعروض عليه وماقد يكون من تنافس حوله ؟ أم كل ما في الأمر أن الأكل لم يكن نظيفا ؟ ومهما يكن من أمر فقد أقلع أبو مروان وصحبه من منية ابن خصيب إلى مصر، وقطع المركب المسافة بينهما في سبعة أيام والمرض يتزايد على الشيخ، وكان قد قرر مع أصحابه أن لا يدخل القاهرة إلا في الليل كي لا يشعر به أحد، ودخلها وقت العشاء من ليلة الخميس السابعة والعشرين من جمادى الأولى عام 635هـ وتوفي في الليلة القابلة، وهنا يورد ملخص الرحلة أخبارا في الكرامات التي ظهرت قبل وفاة هذا الشيخ وبعد وفاته ومنها حضور جماعة من أهل الصلاح والخيرإلى الخان ليلة وفاته لقراءة القرآن عليه من غير أن يشعرهم أحد، ومنها أنه صلي عليه ثلاث مرات، ومنها أنه بني عليه ليلة دفنه ضريح من أحسن ما يبنى من الأضرحة وأصبح مبنيا ولم يعرف من بناه، وأما ما يصفه ملخص الرحلة من تزاحم الناس على التبرك بالرداء الذي غسل فيه وتسابقهم في إرسال عمائمهم وأرديتهم على نعشه خلال السير بجنازته، فإن ذلك مما يوذن بسعادته ويشهد بولايته[185]. وقبل دفن أبي مروان توجه حفيد أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي وبعض خواص أبي مروان الذين رافقوه في رحلته

(185) إفادة النصيح : 104.

معهم عز القضاة ابن الجباب من أعيان مصر إلى العادل ابن الملك الكامل الذي كان نائبا عن والده الموجود يومئذ بدمشق فاستقبلهم بقصره في القلعة : «فأعلموه بوصول الفقيه أبي مروان فسر به وسأل عنه فقيل : وصل بارحة أمس وتوفي الليلة فتأسف لذلك وأمر بتجهيزه، فقال له حفيد أخيه وأصحابه : عنده جهازه». ولعلنا نفهم من هذا الكلام أن أبا مروان كان يحمل جهازه معه فيما يحمل من لوازمه، حتى إذا حان الأجل وأدركه الموت في الطريق كان كفنه موجودا، وشاء الله أن يموت في القاهرة وأن يدفن في مقبرة الشهداء المنسوبة إلى سارية والذين استشهدوا معه وهي الموجودة بسفح جبل المقطم[186].

إننا لا نستغرب ما هيأ الله لهذا الرجل في أثناء رحلته من بركات، وما ظهر عند وفاته من كرامات، فقد كان من أهل الخير والصلاح، ومن رجال العلم والعمل، عاش تاليا للقرآن، قارئا للحديث، وبلغ في سرعة ختم القرآن مبلغا عظيما، أخبر أبو محمد الحريري[187] وكان خاصة لأبي مروان «قال : سألته– يعني أبا مروان – عما يذكر من سرعته في تلاوته ومقدار ما انتهى فيها، فقال لي ما معناه : إني لم آخذ نفسي

(186) دفن في هذه المقبرة بعض الأندلسيين، ومنهم شيخ القراءات الإمام الشاطبي. الذيل والتكملة5 : 557 .

(187) هو عبد الله بن قاسم اللخمي الإشبيلي الذي يعرف بالحرار والحريري، توفي سنة 646هـ في وقت حصار إشبيلية. التكملة : 902, وصلة الصلة3 : 146, والذيل والتكملة1 : 513 .

بضبط ذلك، ولكن اتفقت لي قصة، وهي أنه كانت عادة الطلبة أن يفطروا في رمضان عند السلطان فأفطرت ليلة معهم، وذلك في زمن القيظ فلما قضينا الإفطار تكاسلت عن الوصول إلى منزلي ثم الرجوع إلى صلاة الأشفاع فدخلت المسجد الأعظم– يعني مسجد إشبيلية– واستلقيت في قبة بابه الجوفي، قال : وكنت انتهيت قبل في قراءتي إلى سورة يونس فابتدأت من أولها وتماديت إلى أن أذن بالعتمة وأنا أقرأ سورة المطففين»[188]. ومعنى هذه الحكاية أن الرجل كان يستطيع قراءة القرآن كله من حفظه فيما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، وهذا شيء خارق للعادة[189].

وقد يقال بعد هذا لم لم يقبل الشيخ هدية الوالي ولماذا سأل الله أن لا يرى السلطان، والجواب أن الشيخ - كما رأينا من تصرفه في أملاكه - كان حريصا على أن يحج ويعيش في المشرق من حر ماله بل لعله كان يعول الذين حجوا معه وينفق عليهم، ومن هنا نرى أن الله أغناه وكفاه مؤنته، وأما هروبه من لقاء السلطان، وعزوفه عن قبول الخطط والمناصب

(188) إفادة النصيح : 97 .

(189) من أغرب ماورد في سرعة ختم القرآن حكاية ذكرها الشوشاوي في كتابه " الفوائد الجليلة :" قال أبو يعقوب المحساني : إن رجلا بالمشرق يقال له أبو عيسى التلمساني كان يختم القرآن بين اليوم والليلة اثني عشر ألف مرة، قال هذا في مجلسه بمدينة سبتة بحضور الفقيه العزفي، فقال له الفقيه العزفي : لو كان يقول : القرآن، القرآن، ما أتم اثنى عشر ألف مرة كأنه أراد أن يكذبه فاغتاظ لأجل ذلك أبو يعقوب المحساني لأنه أساء عليه الأدب فخرج من سبتة... فتوجه نحو المشرق حتى أتى فيها بعقد مصحح من قاض إلى قاض حتى انتهى إلى مدينة سبتة " الفوائد الجليلة : 38 ، مخطوط .

فلأنه كان قد زهد في الخطط وهو في بلده فكيف يقبلها في غيره ؟ وهو قد ترك إشبيلية خارجا عن أملاكه هاربا بدينه من الفتن راغبا عن صحبة أهل الدنيا كما يقول المنذري[190]، ولاشك في أنه كان يقابل بين ما جرى ويجري في الأندلس والمغرب مع ما جرى ويجري في المشرق فيصل إلى نتيجة واحدة وهي سؤال حسن الخاتمة. ولقد رأى ما حصل الموحدين في آخر أيامهم بالأندلس من تفرق وتمزق، ولعله أحس بهذا وهو يسمع ما وقع بين الأيوبيين ويقرأ أقوال القاضي الفاضل في ذلك : «أما هذا البيت فإن الآباء منه اتفقوا فملكوا، والأبناء اختلفوا فهلكوا، وإذا غرب نجم فما في الحيلة تشريقه، وإذا بدا خرق ثوب فما يليه تمزيقه»[191].

ولعل أبا مروان بلغه ما وقع من ابن دحية وما وقع له خلال مشيخته لدار الحديث، يقول ابن تغري بردي في وفيات سنة 633هـ : «وفيها توفي أبو الخطاب ابن دحية المغربي، قال أبو المظفر[192] : كان في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يثلب علماء المسلمين ويقع فيهم ويتزيد في كلامه، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وكان الكامل مقبلا عليه، فلما انكشف له حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانه فمات في شهر ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر»[193].

(190) التكملة لوفيات النقلة3 : 475 .

(191) انظر ملخص الرحلة في الملحق رقم6 .

(192) هو سبط الجوزي المؤرخ المعروف .

(193) النجوم الزاهرة 6 :295–196.

ولعل الله أراد خيرا بأبي مروان حين اختاره إلى جواره، فقد توفي الملك الكامل بعد وفاة أبي مروان بشهرين واضطربت الأحوال في عهد ولده العادل ومن جاء بعده[194]، كما أن الحالة في الأندلس سارت من سيء إلى أسوء وضاعت إشبيلية أم المدائن الأندلسية ومهد الأسرة الباجية اللخمية سنة 646هـ[195] أي بعد 15 سنة من موت أبي مروان الباجي.

ونتساءل بعد هذا عن مصير الذين كانوا في رفقة هذا الشيخ النبيل، فأما أشهرهم وهو تلميذه ابن الخضار السبتي فقد عاد إلى بلده سبتة وظل يذكر أفضال شيخه وينشر أخباره إلى أن توفي سنة 697هـ [196]، ورجع أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي المعروف بابن الحجام إلى تونس واستقر فيها[197]. وأما أبو مروان الصغير محمد بن أحمد المعتضد بالله الذي كان مع عمّ أبيه حتى دفنه فلا نعرف عنه شيئا بعد ذلك، ويبدو أن ثمة إشبيليين حجوا معه ورجعوا إلى إشبيلية وعنهم روى أبو عمر عثمان بن أحمد الحضرمي[198] أخبار الرحلة التي دونها، وهذا على فرض أنه لم يكن ممن صحبوا أبا مروان في رحلته.

وبعد فقد يقول قائل : لماذا لم يترك أبو مروان تأليفا في علم من العلوم التي كان يحسنها ؟ ولعلنا لا نملك ما يقدم

(194) النجوم الزاهرة 6 : 303 وما بعدها .

(195) انظر وصف سقوطها في البيان المغرب : 380-384 .

(196) إفادة النصيح : 140.

(197) رحلة ابْن رشد2 : 132-133.

(198) الذيل والتكملة6 : 132.

جوابا شافيا فقد يكون ذلك راجعا إلى تواضع الرجل وإيثاره الاقتصار على التدريس والوظائف التي كان يقوم بها وهي القضاء والخطابة وغيرها، ومثله في هذا عدد من العلماء في القديم والحديث، على أن أبا مروان لو فكر في التأليف لكان قادرا عليه ومفيدا فيه، ويدل على هذا إفاداته العديدة حول الأطباء في الأندلس والمغرب التي نجدها في عيون الأنباء. وقد رأينا من المفيد إثبات نصوصها كملحق من ملاحق الدراسة.

كان أبو مروان الباجي آخر بني الباجي الإشبيليين ولعل بموته انقرضت هذه الأسرة التي توارث أفرادها النباهة والوجاهة في إشبيلية نحو خمسة قرون ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الملحق الأول

مشجر نسب أبي مروان الباجي
من جهة أبيه

مشجر نسب أبي مروان الباجي
من جهة أبيه

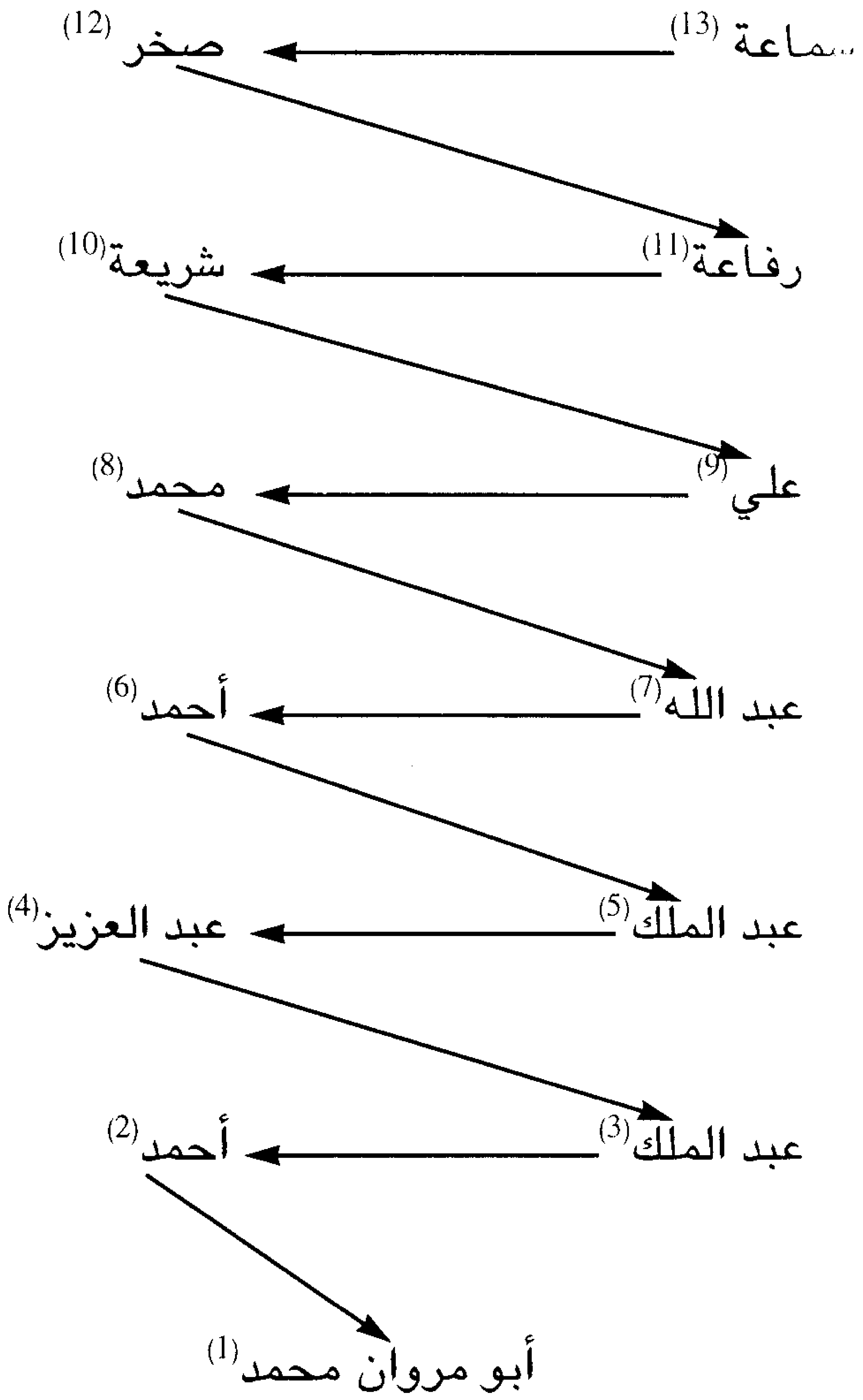

13. سماعة هو الداخل إلى الأندلس ولم نجد له ذكرا.
12. صخر بن سماعة : لم نجد له ذكرا.
11. رفاعة بن صخر : لم نجد له ذكرا.
10. شريعة بن رفاعة : لم نجد له ذكرا.
9. علي بن شريعة : لم نجد له ذكرا.
8. محمد بن علي : لم نجد له ذكرا.
7. عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة الإشبيلي المعروف بابن الباجي، هو أول من وجدنا له ترجمة في سلسلة النسب المشجر المذكور، ترجم له ابن الفرضي. والقاضي عياض. و الرشاطي. وكانت له مكانة علمية كبيرة، فقد قيل فيه : (لم يكن بالأندلس بعد عبد الملك بن حبيب مثل أبي محمد الباجي)، حدث نحوا من خمسين سنة في إشبيلية وقرطبة، ولد سنة 291هـ وتوفي سنة 378هـ، وهو المعروف بالرواية.
6. أحمد بن عبد الله أبو عمر، ولد الشيخ أبي محمد المذكور، ترجم له القاضي عياض وابن بشكوال. و الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري. قال فيه بعضهم : (كان إمام عصره وفقيه زمانه، لم أر مثله) استقضى بإشبيلية ودرس بها وبقرطبة، ولد سنة 332هـ و توفي 396هـ.
5.. عبد الملك بن أحمد، لم نقف له على ترجمة ويبدو أنه لم يكن من أهل العلم، يقول ابن عبد الملك في ترجمة ابنه أحمد : (روى عن عمه أبي عبد الله، روى عنه ابن أخيه أبو مروان عبد العزيز)
4. عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد، له ترجمة في التكملة لابن الأبار. قال: (روى عن عمه أبي عبد الله محمد بن أحمد صاحب الوثائق، حدث عنه ابنه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز وأبو عبد الله مالك بن يحيى بن وهيب وأبو عبد الله بن المجاهد)
3. عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك، ترجم له ابن بشكوال. وذكر أنه استقضى ببلده مرتين، ولد 447هـ، وتوفي سنة 532هـ.
2. احمد بن عبد الملك، هذا هو والد القاضيين أبي عبد الله محمد وأبي مروان محمد موضوع هذه الدراسة وأكبر أعلام هذا البيت الإشبيلي النبيل في وقته، ذكر ابن عبد الملك أنه روى عن أبيه وأبي بكر بن العربي وأبي الحسن شريح وغيرهما وقال فيه : (كان محدثا عدلا فاضلا نبيه البيت، أكبر حسباء بلده بشرف العلم المتوارث على القدم) الذيل و التكملة 1 : 263
1. ابو مروان محمد – هو المعرف به في هذه الدراسة. وترجمته في التكملة : 637، و الذيل و التكملة 5 : 687

الملحق الثاني

مشجر نسب والدة أبي مروان الباجي

مشجر نسب والدة
أبي مروان الباجي

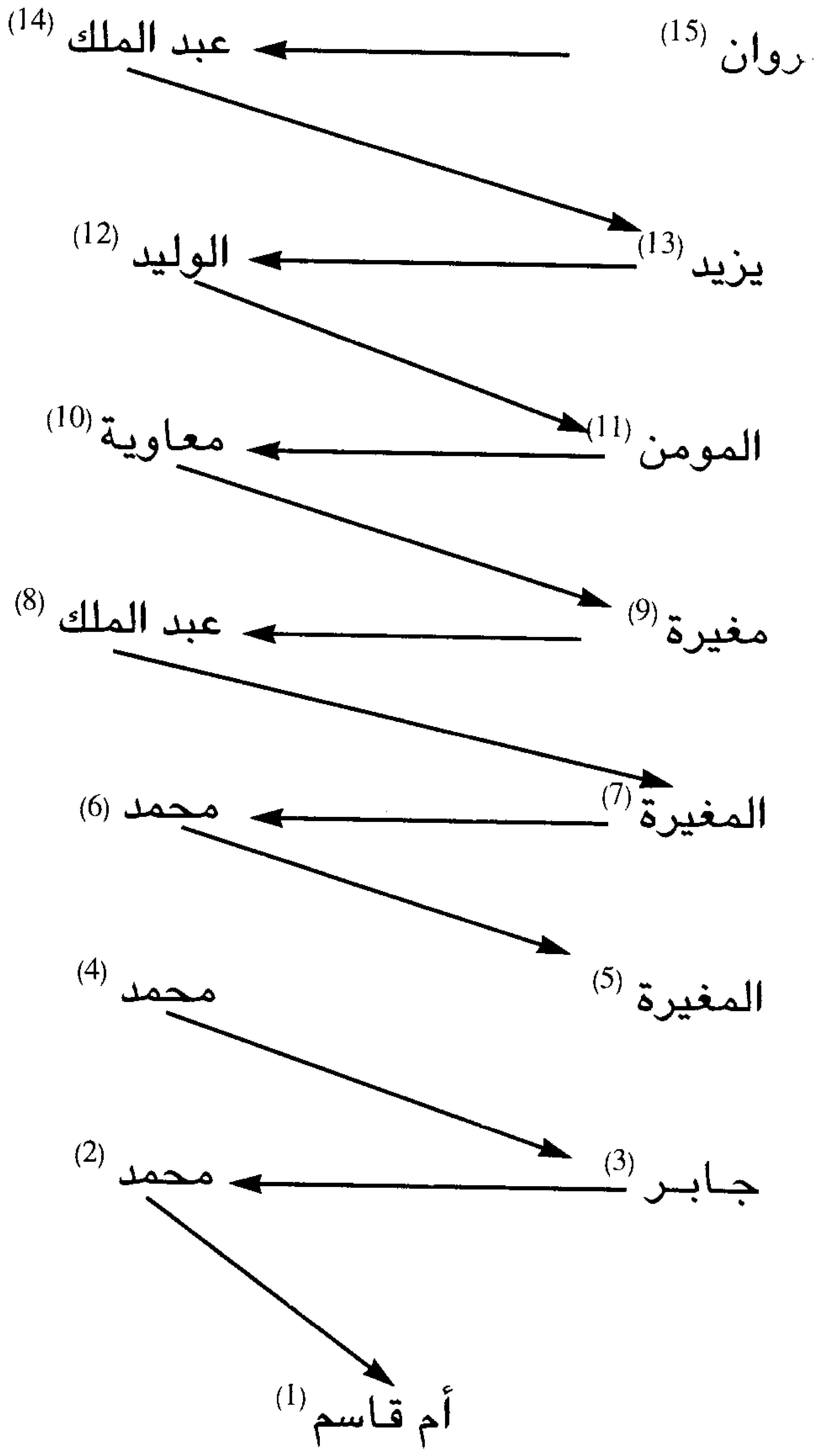

15. هو مروان بن الحكم الخليفة الأموي (2 هـ-52هـ).
14. هو عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي المشهور (365 هـ-86هـ).
13. هو يزيد بن عبد الملك، هو الخليفة التاسع من خلفاء بني أمية.
12. هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الحادي عشر من خلفاء بني أمية.
11. المؤمن هو أحد أولاد الخليفة الوليد بن يزيد، قتله عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي إفريقية لأنه أراد أن يقوم عليه، و المؤمن بن الوليد هذا هو جد بني المغيرة الإشبيليين، الجمهرة لابن حزم : 91, و البيان المغرب 1 : 61-62
10. معاوية بن المؤمن هو أول داخل إلى الأندلس من أسرة المغيريين الإشبيليين
9. مغيرة بن معاوية : لم نقف على شيء من خبره.
8. عبد الملك بن مغيرة :لم نقف على شيء من خبره.
7. المغيرة بن عبد الملك :لم نقف على شيء من خبره.
6. محمد بن المغيرة :لم نقف على شيء من خبره.
5. المغيرة بن محمد : لعله هو الذي ترجم له ابن الأبار وقال فيه : المغيرة بن محمد القرشي من أهل قرطبة، سمع من بقي بن مخلد وصحبه واختلف إليه للسماع منه، ثم حكى حكاية فيها منقبة لبقي شهدها المذكور.
4. محمد بن المغيرة لعله هو الذي ترجم له ابن بشكوال وقال : محمد بن مغيرة بن عبد الملك بن مغيرة بن معاوية ووقع له في نسبه اضطراب، وهذا هو الذي وصفه ابن عبد الملك بالراوية وكناه مثل ابن بشكوال بأبي بكر. وهو يروي فعلا عن علماء من الأندلس و المغرب و المشرق، ذكر ابن بشكوال أنه كان من أهل العلم بالحديث و الرأي وضروب الآداب وممن يقول الشعر الحسن، ولد سنة 349هـ وحج سنة 393هـ وتوفي سنة 425هـ.
3. أبو القاسم جابر بن محمد بن مغيرة، وصفه ابن عبد الملك بالحاج ولم نقف له على ترجمة.
2. أبو بكر محمد بن جابر، حلاه ابن عبد الملك بالوزير (الذيل و التكملة5: 686) وحلية الوزير أصبحت تطلق في عهود الطوائف و المرابطين و الموحدين على شخصيات من بيوتات نبيهة ولو لم تشغل هذه الوظيفة.
1. أم القاسم زوج أبي عمر أحمد بن عبد الملك الباجي وأم ولديه أبي عبد الله محمد وشقيقه أبي مروان محمد، الذيل و التكملة 5 : 686 ولم تذكر لها ترجمة في التكملة و الذيل و الصلة.

الملحق الثالث

مشجر أسرة الباجي

مشجر أسرة الباجي

سماعة (هو الداخل إلى الأندلس)

صخر

شريعة

محمد

علي

محمد

عبد الله (291هـ-378هـ) — فاطمة (ت. بعد 319 هـ)[1]

أحمد (332هـ - 396هـ)

عبد الملك — محمد (356هـ-433هـ)[2]

علي (393هـ- 462هـ)[3]

عبد الله (ت 487هـ)[4]

علي (ت. بعد 478 هـ)[5]

محمد (ت. بعد 433هـ)[6] — أحمد (ت. 433هـ)

عبد العزيز (ت. بعد 578 هـ)[7]

عبد الملك (447-532هـ)

أحمد (ت.574هـ) — محمد (ت. بعد 578)[8]

محمد أبو عبد الله (ت606هـ) — محمد أبو مروان (ت. بعد 578هـ)

أحمد المعتضد. (ت)[10]

محمد[11]

1. هي فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي أخت أبي محمد الباجي الإشبيلي، شاركت أخاها في بعض شيوخه وأجاز لها محمد بن فطيس الإلبيري وغيره. انظر ترجمتها في الصلة رقم 1528.
2. هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي الإشبيلي، سمع من جده عبد الله، ورحل مع أبيه إلى المشرق وشاركه في السماع من الشيوخ هناك. كان في وقته أجل فقهاء إشبيلية درايةورواية، وله تأليف حسن في علم الوثائق وعللها. انظر ترجمته في الصلة رقم1.
3. هو علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي بن شريعة اللخمي الباجي الإشبيلي،روى عن أبيه صاحب الوثائق. انظر ترجمته في الصلة رقم 893.
4. هو عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي اللخمي الإشبيلي. روى عن جده محمد بن احمد، وكان فقيها فاضلا. انظر ترجمته في الصلة رقم 626.
5. هو الحسن علي بن عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الراوية الباجي، روى عنه عدد من الأندلسيين. انظر ترجمته في الذيل و التكملة 5: 235, و التكملة 3 : 186.
6. هو محمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله اللخمي الباجي، روى عن عمه محمد مؤلف كتاب الوثائق. وروى عنه ابن أخيه أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز. ترجمته في التكملة:140، والذيل و التكملة :6. 395.
7. هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي، روى كأخيه عن عمه أبي عبد الله محمد مؤلف كتاب الوثائق، حدث عنه ابن أخيه أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز، ترجمته في الذيل و التكملة: 1. 262.
8. هو محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله اللخمي الباجي، روى عن أبي عمر ميمون بن ياسين وأبي القاسم خلف بن بشكوال، كان فقيها جليلا، له ترجمة في الذيل و التكملة : 6. 404.
9. هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله الراوية، كان إماما جليلا ولي القضاء و الخطابة بإشبيلية، ترجمته في الذيل و التكملة5 : 686، و التكملة 579.
10. هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله الراوية، هذا هو الذي بويع بالملك في إشبيلية وتلقب بالمعتضد بالله. انظر بعض أخباره في التكملة. و الذيل و التكملة5 : 676–689, و القدح المعلى لابن سعيد في مواضع متعددة.
11. هو ولد أحمد المعتضد الذي رافق عم والده إلى المشرق.

الملحق الرابع

أبو محمد الباجي الراوية و المنصور ابن أبي عامر

أبو محمد الباجي الراوية[1]
والمنصور ابن أبي عامر

قال ابن مفرج[2] :

كان الباجي من أهل الرواية العليا والبصر بالحديث والمعرفة بالفقه الراسخين فيه الحافظين له، من أهل النصائح في الدين، والتواضع في الدنيا، لا يصحب السلطان، ولي مرة قضاء بلده وشوراه ولج في الاستعفاء حتى عوفي من القضاء، وبلغ عدد ما رواه من الدواوين مائتين وثمانين ديوانا. وأوصله ابن أبي عامر إلى نفسه وسلم عليه وكانت فيه صحة نفس وقوة عارضة، فقال لابن عامر : أي والد كان والدك رحمه الله[3] وأثنى عليه خيرا ووصفه بطلب قال : وكان لي صديقا سمعت معه على الشيوخ، ولم يكن فضوليا وأما أنت فلم تماثله، وأدخلت يدك في الدنيا فانغمست في لجاتها وطلبت الفضول وأوبقت نفسك والله يا مغرور، وعز علي انتشابك؟

---

(1) هو أحد أجداد أبي مروان موضوع هذه الدراسة

(2) هو أبو بكر بن محمد القرطبي المعروف بابن مفرج والقبشي، مؤرخ أندلسي، ولد سنة 348هـ وتوفي بعد 430هـ، وكتابه "الاحتفال" ينقل عنه ابن بشكوال والقاضي عياض، وهذا النص من كتاب ترتيب المدارك 7 : 36-37. انظر ترجمة ابن مفرج في الصلة1 : 135-136.

(3) ترجم ابن الأبار في التكملة: 781 لعبد الله بن أبي عامر والد المنصور، ومما قاله في الترجمة : أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال: «كان خير صديق أنتفع به وينتفع بي وأقابل معه كتبه وكتبي». وقد ذكره في الحلة السيراء 1 : 273-174.

فاحتمل ابن أبي عامر قوله لعلمه بسلامته[4]. ثم قال له ياحاجب : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس على مسلم جزية، فايش[5] تقول أنت فيه؟ فقال ابن أبي عامر : وما عسى أن أقول في حديثه، هو حق لاشك فيه، فقال : وأي شيء أنا عندك؟ قال : مسلم حنيفي بحمد الله، فقال له : ولم أغرم الجزية[6] إذن ورسول الله يأمرك بإسقاطها عني : فقال ابن أبي عامر : سمعا وطاعة له ولن تغرمها بعد، وصكك[7] له بحرية ضياعه.

وقد أورد ابن الأبار هذه الحكاية في الحلة السيراء[8] في ترجمة المنصور بشئ من الاختلاف، قال : (وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة، فقد كان له حلم واحتمال مع محبة للعلم وإيثار للأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما، يحكي أن أبا محمد الباجي الراوية دخل عليه وقال : " أصلحك الله يا حاجب، وحفظك ووفقك وأحسن عونك ، فرد عليه ابن أبي عامر أجمل رد، وبجله ووقره وأدنى مكانه حتى أقعده إلى جانبه وقال له : كيف أنت اليوم وحالك ، فقال له : بخير ماكنت به، ثم قال له الباجي : أي والد كان لك رحمة الله

(4) أي أنه يريد النصح ولا يقصد الأذى .

(5) فايش : أي فأي شيء .

(6) لعله عبر عن الضريبة بالجزية .

(7) أي كتب له صكا وهوالظهير أو المرسوم .

(8) الحلة السيراء 1: 273 .

...يه، كان والله ماعلمت من أهل الخير والعافية والصلاح ...العفة والحرص على الطلب والمعرفة، اختلف معي إلى محمد ... عمر بن لبابة وإلى أحمد بن خالد وإلى محمد بن فطيس ...ـيري[9] وغيرهم، وكان لي خير صديق وصاحب، أنتفع به ...ـتفع بي، وأقابل معه كتبه وكتبي، ولم يكن فضوليا البتة، ...ما أنت فلم تمتثله وأدخلت يدك في الدنيا فانغمست في ...ـاتها وطلبت الفضول فعلمت أخبارا كثيرة[10] وأوبقت نفسك ...الله يا مغرور وعز علي انتشابك ، فقال له ابن أبي عامر : ...فقيه هكذا صاحب الدنيا، لابد أن يخلط خيرا ويأتي معروفا ...نكرا، والله يتوب على من يشاء برحمته. وسأله الباجي إثر ...ها رفع الغرامة عن ماله بإشبيلية فأمر بإسقاطها ووصله ...ـدرة دراهم كاملة ومنديل كسوة تشاكله فيها خلعة تامة".

... ترتيب المدارك 5 : 174.

... من المعروف أن المنصور ابن أبي عامر كانت تنقل إليه الأخبار .

الملحق الخامس

رواية ابن خلدون
حول نهاية الباجي المعتضد

رواية ابن خلدون
حول نهاية الباجي المعتضد

«كان بإشبيلية أبو مروان أحمد الباجي[1]، من أعقاب أبي الوليد[2] وأبو عمر بن الجد[3] من أعقاب الحافظ أبي بكر الطائر الذكر[4]، ورثا التجلة عن جدهما، وأجراهما الخلفاء على سننهم، وكانا مسمتين[5] وقورين متبوعين من أهل بلدهما مطاعين في أفقهما[6]، وكان السادة من بني عبد المومن يعولون على شوراهما في مصرهما[7]، وكان بعدوة الأندلس الْتياثٌ في الملك منذ وفاة المستنصر[8] ، وانتزى بها السادة وافترقوا، وثار بشرق الأندلس ابن هود وزيان بن مردنيش، وبغربها ابن الأحمر، وغلب ابن هود على إشبيلية سنة ست وعشرين، واعتقل من كان بها من الموحدين، ثم انتقضوا عليه سنة تسع بعدها وأخرجوا أخاه أبا النجاة سالما، وبايعوا

---

(1) يتحدث ابن خلدون عن ولد أخ أبي مروان الذي حكم إشبيلية.

(2) هذا خطأ من ابن خلدون فلا علاقة لأبي الوليد الباجي المعروف بهؤلاء الباجيين الإشبيليين.

(3) انظر أخباره في البيان المغرب : 378–380.

(4) ترجمته في الذيل والتكملة6 :323–326.

(5) أي صاحبي سمت ووقار.

(6) يعني غرب الأندلس.

(7) يعني أشبيلية.

(8) كانت وفاة المستنصر الموحدي في سنة : 620هـ.

الباجي وتسمى بالمعتضد[9]، واستوزر أبا بكر ابن صاحب الرد [10]، ودخلت في بيعته قرمونة[11]، وحاصره ابن هود، فوصل الباجي يده بمحمد ابن الأحمر الثائر بأرجونة وجيان بعد أن ملك قرطبة. وزحف ابن هود إليهم فلقوه وهزموه ورجعوا ظافرين، فدخل الباجي إلى إشبيلية وعسكر بخارجها ثم انتهز فرصته في إشبيلية وبعث قريبه ابن إشقيلولة[12] مع أهل أرجوانة والنصارى إلى فسطاط الباجي فتقبضوا عليه وعلى وزيره، وقتلوهما سنة إحدى وثلاثين ودخل ابن الأحمر إشبيلية وبعد شهر من دخوله إليها ثار عليه أهلها ورجعوا إلى طاعة ابن هود وولي عليهم أخاه أبا النجاة سالما[13] ».

(9) راجع ما كتبناه عنه في الدراسة.

(10) انظر ترجمته في القدح المعلى : 112–113.

(11) هي المدينة المجاورة لإشبيلية.

(12) انظر في بني إشقيلولة : أعمال الأعلام : 287.

(13) العبر6 : 611.

الملحق السادس

ملخص رحلة أبي مروان الباجي

ملخص رحلة أبي مروان الباجي

«وفصل[1] من إشبيلية يوم [...][2] لثمان خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، قاصدا سبتة من بر العدوة[3]، وأقلع منها في مركب[4] رومي يوم الأربعاء لسبع خلون من محرم أربع وثلاثين وستمائة سائرا مع العوالي[5] من بر الأندلس إلى مالقة إلى المنكب إلى المرية إلى قرطاجنة إلى لقنت[6]، وفارق بر الأندلس إلى جزيرة يابسة إلى جزيرة

---

(1) . من هنا يبدأ ملخص الرحلة ، ويبدو أنه من تلخيص ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة: 5. 689.

(2). بياض في الأصل، ويبدو من المقابلة بين التاريخ المسيحي والهجري أنه كان يوم خميس، وقد جرت العادة بتوخي هذا اليوم في السفر رجاء بركة قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس، ولهذا نجد عددا من أصحاب الرحلات الحجازية يسافرون هذا اليوم.

(3). كان حاكم سبتة حينئذ هو أبو العباس أحمد الينشتي الذي استقل بها وتقلب بالموفق وذلك من سنة 630هـ إلى سنة 635هـ، وقد وصف بإكرام الوافدين، وكان في سبتة في هذا التاريخ أيضا بنو العزفي وأشهرهم حينئذ الفقيه المحدث أبو العباس أحمد والد أبي القاسم الذي تأمر بسبتة بعد هذا التاريخ وهم كأبي مروان ينتمون إلى لخم.

(4). يبدو أن هذا المركب الرومي كان للروم الجنويين كالمركب الذي ركبه ابن جبير وصاحبه قبل أبي مروان وقد كان لهؤلاء الجنويين فنادق للتجارة وكانت مراكبهم تنقل الحجاج.

(5). كذا في المطبوع، ولا معنى لها هنا ولعلها : الموالي أي المقارب والمحاذي، وفي رحلة ابن جبير : (وكان طريقنا في البحر محاذيا لبر الأندلس).

(6). نلاحظ هنا على سبيل المثال – شيئا من الفرق بين المركب الذي ركبه ابن جبير وهذا المركب في خط السير، فمركب صاحبنا هذا ينص على المراحل =

ميورقة[7]، فدخل مرسلها ليلة الخميس الثالثة والعشرين من محرم المذكور ، وأقلع منه ليلة الخميس التالي لها إلى جزيرة قبريرة[8] فبات بها ليلة الجمعة ، وأقلع منها صبح يوم الجمعة إلى مرسى سردانية ، فدخله يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر[9]، وأقلع منه يوم الخميس لست خلون من صفر إلى صقلية، فجاوزها ثم ردته الريح إلى مرسى سرقوسة إحدى مدن الجزيرة، فدخله ليلة الأربعاء الثانية عشر من صفر، وأقام إلى عشية يوم السبت لسبع خلون من ربيع الأول ونزل

= أو المراسي المحاذية وهو يفارق بر الأندلس من ألقنتي AL CANTE أما مركب ابن جبير، فلا يفارق بر الأندلس إلا عندما يحاذي دانية DENIA .

(7) كانت ميورقة حينئذ تابعة للقطلانيين الذين استولوا عليها سنة 627هـ ومثلها يابسة، ويفهم من هذا الملخص أن المركب الجنوبي دخل ميورقة وبقي فيها أسبوعا، ويبدو أن أبا مروان وأصحابه بقوا في المركب، ولعلهم وهم يشاهدونها كانوا يذكرون ما حدث لأهلها بعد دخول القطلانيين والأرغونيين إليها، وقد تكون ميورقة مصحفة عن منورقة، وهذه كانت يومئذ تحت حكم الأمير العالم أبي عثمان سعيد بن حكم القرشي ولكننا لا نستطيع أن نقطع في الأمر.

(8) هي جزيرة صغيرة ذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق 585.2.

(9) قطع مركب ابن جبير المسا فة بين منورقة وسردانية في يومين (فكان قطعا مستغربا في الساعة والسرعة) أما مركب أبي مروان فقد قطعها في أربعة أيام تقريبا، ويقول الإدريسي من منورقة إلى جزيرة سردانية أربعة مجار، ويفهم من نص الملخص أن أبا مروان وأصحابه لم ينزلوا من المركب إلى مدينة سردانية التي وقف بها المركب ليلتين، وجزيرة سردانية من أشهر جزر البحر المتوسط وقد غزاها المسلمون مرارا في عهد الفتوحات وغزاها مجاهد العامري سنة 409هـ وفتحها لكنه لم يلبث بها إلا قليلا، انظر الروض المعطار: 314-315.

إلى سرقوسة وأقام بها من ليلة الأحد الثامنة من ربيع الأول إلى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، وانتقل المركب وأقام به ريثما تساعده الريح على سيره[10]، فأقلع منها يوم الأربعاء إلى جزيرة اقريطش[11] في ثمانية أيام، ثم إلى جزيرة قبرص[12] في خمسة أيام ثم إلى عكا[13] في ثلاث أيام، وكان المركب يسير كل يوم من سرقوسة إلى

(10) تحدث ابن جبير عن مشقة المراكب في التخلص من بر سردانية وصقلية، ومدينة سرقوسة -التي توقف بها مركب أبي مروان في انتظار الريح المساعدة- هي مدينة الشاعر ابن حمديس التي رثاها في نزهة المشتاق، وقد أطنب الحميدي في ذكرها ووصف حالها في العهد الإسلامي، ويذكر الملخص أن أبا مروان نزل من المركب إلى هذه المدينة وأقام بها مدة تقرب من ثلاثة شهور درس فيها أصحابه كتابين : أولها رائع الدرر ورائق الزهر، في أخبار خير البشر لابن فارس وكتاب النظر في أحكام النظر.
راجع برنامج التجيبي : 135-272، ومستفاد الرحلة والاغتراب له أيضا : 177-178

(11) يتفق خط السير هنا مع ما في رحلة ابن جبير ثم يختلف بعد جزيرة اقريطش، وليس في هذا الملخص ما يشير إلى وقوف المركب بهذه المدينة التي كان للأندلسيين شأن كبير فيها إذ تملكها الريضيون زمنا ثم تغلب عليها الروم وكانت خاضعة لهم عندما مر بها أبو مروان. انظر الروض المعطار : 51.

(12) يبدو من السرد السريع أن المركب مر بقبرص ولم يتوقف بها، وقد رسمت قبرص هنا بالصاد، وهي في نزهة المشتاق والروض المعطار وغيرهما : قبرس.

(13) دخل ابن جبير عكا قبل أبي مروان بعقود قليلة ووصفها بقوله: (هي قاعدة مدن الإفرنج بالشام، ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، مرفأ كل سفينة، والمشبه في عظمها واحتفالها بالقسطنطينية مجتمع السفن والرفاق، وملتقى تجار المسلمين والمسلمين من جنيع الآفاق سككها وشوارعها تغض بالزحام، وتضيق فيها مواطئ الأقدام) وقد نقل الحمدي الوصف بتمامه في الروض المعطار، ولسنا ندري كم مكث فيها، ولعله خرج منها بعد أن استراح قليلا من سفر البحر.

عكا مائة ميل، فدخل عكا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب ، وقدم دمشق غدوة يوم [...][14] لسبع خلون من رمضان ، وأقام إلى منتصف شوال[15]، فخرج منها مع الركب الشامي وكان له سبعة أعوام لم يتوجه إلى مكة[16] – شرفها الله– ، فصار إلى بصرى[17] في أربعة أيام إلى الأزرق[18] إلى تيماء[19] إلى خيبر[20]، إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم

(15) يمر الملخص في هذا الموضوع وغيره مرا سريعا فلا يتحدث عن نشاط أبي مروان العلمي في دمشق وهو نشاط كبير ظهر أثره بعد ذلكم في المغرب، فقد لقي العلماء وروى عنهم ورووا عنه، ومنهم أبو عمرو عثمان ابن الصلاح وسمع منه كتابه المشهور في علوم الحديث، ورواية أبي مروان له هي التي وصلت إلى المغرب وتداولها الناس،

(16) تبدأ هذه السنوات عند الجزيري بسنة 625هـ، راجع الدرر الفرائد المنظمة :1. 590

(17) ذكر الجزيري (2. 1254.) طريق الركب الشامي إلى مكة المعظمة ومثل لها بمراحل ابن فضل الله العمري والصلاح الصفدي عند حجه في سنة 755 هـ، وهي أكثر عددا من المراحل التي ذكرها أبو مروان هنا، فقد كان الركب في عهد ابن فضل الله يخرج من دمشق إلى الكسوة ومنها إلى الصنمين ومنها إلى زرع ومنها إلى بصرى، ولعل المراحل تختلف باختلاف سعة الوقت أو ضيقه، فقد خرج أبو مروان من دمشق في منتصف شوال وكان خروج الصفدي في تاسع شوال، انظر في بصرى الروض المعطار : 109.

(18) سمى ابن فضل المرحلة التي بعد بصرى الزرقاء وسماها الصفدي : الأزرق، الدرر الفرائد المنظمة: 2. 1256.

(19) ويبدوأن أبا مروان كان يطوي المراحل التي ذكرها الجزيري، وفي الروض المعطار أن بين تيماء وأول الشام ثلاثة أيام. الروض المعطار: ص 146. ويبدو أن طريق الركب الشامي في عهد أبي مروان كانت تختلف عما ذكره الصفدي والعمري، جاء في الدرر المنظمة : (وللحجاج طريق أقصر من هذا كان الطريق عليه قديما وهو على صرخد على تيماء إلى المدينة النبوية).

(20) خيبر على ثلاثة برد من المدينة. انظر فيها الروض المعطار : 228.

- كرمها الله – وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بها يومين، وانفصل على طريق الركب[21] إلى وادي العقيق[22] وبير علي[23] وذي الحليفة[24]، ومنها أحرم إلى شعب علي[25] إلى بدر[26] إلى رابغ[27] إلى الجحفة[28] إلى بطن مر[29] إلى مكة – شرفها الله –فقدمها لأربع خلون من ذي الحجة فنزل بالأبطح[30].

ولما قضى فريضة الحج نزل بدار إمام المالكية[31] عند باب العمرة[32]، وكان من أمله التوجه إلى العراق فإذا الركب

(21) يفهم من هذا أنه انفصل عن ركب الشام.

(22) وادي العقيق على ثلاثة أميال من المدينة، وقد أطال ياقوت في ذكره.

(23) تعرف الآن بآبار علي.

(24) جاء في الدرر الفرائد المنظمة عند الكلام على طريق الحاج الشامي : (ثم يرحل إلى ذي الحليفة ويسميه الحاج بير علي ومن مر على المدينة وهو على مرحلة منها، وبه آبار كثيرة بإزاء وادي العتيق ومنه يحرم الحجاج ويهلون بالتلبية) ، الفرائد 2 : 1264

(25) انظر رحلة ابن جبير : 173.

(26) يقول ابن جبير في بدر : (هي قرية فيها حدائق نخل متصلة وبها حصن وعين فوارة وكانت فيها الغزوة المشهورة).

(27) رابغ : فيه واد وآبار كثيرة قريبة الماء، وهو ميقات أهل مصر والمغاربة على خلاف ذلك.

(28) قال صاحب المطالع : هي قرية جامعة بمنبر على طريق المدينة من مكة، وهي ميقات أهل مصر على خلاف في ذلك.

(29) في رحلة ابن جبير (ص167) : هو واد خصيب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة الماء.. ومنه تجلب الفواكه إلى مكة.

(30) مكان مشهور بمكة المكرمة

(31) هو أبو البركات عمر بن محمد التوزري الذي ولي الإمامة في سنة 614.

(32) عند ابن جبير وابن بطوطة أن دار إمام المالكية عند باب إبراهيم.

العراقي لم يصل إلى مكة تلك السنة خوفا من عادية الكافر التركي[33]، ثم خرج من مكة - زادها الله شرفا - في محرم خمس وثلاثين متوجها إلى مصر، فسرى مدلجا لشدة الحر بالنهار إلى حدة[34] ومن حدة إلى جدة[35]، ومنها ركب البحر فمالت به الريح إلى سلق[36] في يوم وليلة فسار مصعدا منها إلى دبادب[37] وخرج في البر وسار منها ثمانية أيام إلى عيذاب[38] في صحراء البجاة[39]، وهم نصارى سود[40]، وأقام بها نحو ثمانية وعشرين يوما، وقطع صحراءها في عشرين يوما إلى قنا[41]، وكان بهذه الرفقة في نحو سبعين رجلا[42]،

(33) جاء في الدرر الفرائد المنظمة (593.3) : "سنة أربع وثلاثين وستمائة لم يحج العراقي بسبب أن الططر دخل فجمع المستنصر العلماء وسألهم في ترك الحج للجهاد فأفتوه بذلك".

(34) حدة بالحاء المهملة مكان بين مكة وجدة، انظر الدرر الفرائد المنظمة 2. 1468.

(35) كانت جدة وقت حج أبي مروان وابن جبير عبارة عن قرية أكثر بيوتها أخصاص، رحلة ابن جبير : 50.

(36) وقد ذكر ابن جبير أن الركوب من جدة إلى عيذاب آفة للحجاج عظيمة إلا الأقل منهم ممن يسلمه الله عز وجل، وذلك أن الرياح تلقيهم على الأكثر في مراسي بصحارى تبعد منها مما يلي الجنوب فينزل إليهم البجاة. وسلق هكذا وردت في الأصل، ولم أقف على هذا الإسم ولعله تحريف بلاق : وهي جزيرة وفيها مدينة مشهورة عند المسافرين، أنظر جغرافية ابن سعيد : 115.

(37) لم أقف على هذا الإسم.

(38) مدينة ذات مرسى على البحر الأحمر كان الحجاج يركبون منها إلى جدة وقد تكلم عليها ابن جبير ونقل كلامه صاحب الروض المعطار.

(39) يقول ابن جبير : (وهم نوع من السودان ساكنون بالجبال).

(40) ذكر ابن جبير أنهم كانوا ينطقون بكلمة التوحيد إظهارا للإسلام ولكنه ذمهم وقال : «ولا جناح على لاعنهم».

(41) مدينة مشهورة في الصعيد وهي اليوم عاصمة محافظة.

(42) لسنا ندري هل هم جميعا من مرافقي أبي مروان وملازميه أم لا.

فلقيهم في تلك الصحراء قوم من النوبة[43] دخلوها للغارة، فسلبوا الرفقة[44]، وسار من قنا إلى قوص[45] في يوم وكان الملك الكامل[46] قد توجه إلى دمشق وجهاتها ذلك العام يحاول رد البلاد التي كانت لأخيه الأشرف[47] إلى طاعته[48]، فوافاه وهو بالواردة[49] من طريق دمشق الخبر بأنه وصل إلى الحج وإلى دمشق رجل مغربي فاضل يعرف بالباجي، وأثنوا عليه خيرا عنده[50]، وقد كان صاحب المدارس بمصر أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية[51] المذكور قبل بموضعه من

(43) في القاموس أنهم جيل من السودان يسكنون الجزء الجنوبي من مصر.

(44) الرفقة : الجماعة يترافقون في السفر، وسلبوهم يعني أخذوا ما معهم. وهذه المحنة من أعظم ما لقيه في رحلته.

(45) أكبر مدن الصعيد يومئذ وكان لها شأن كبير في التجارة والحضارة والعمران.

(46) هو السلطان الأيوبي الملك الكامل محمد بن السلطان العادل أبي بكر محمد ابن أيوب بن شادي، ولي ملك مصر بعد وفاة والده سنة 615هـ.

(47) هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل، انظر ترجمته في وفيات الأعيان : 5 : 330-336.

(48) إلى طاعته : أي إلى مملكته، وقد مات الملكان الأخوان في سنة واحدة وهي سنة 615هـ.

(49) من مراكز الطريق بين القاهرة ودمشق، انظر التعريف بالمصطلح الشريف : 286.

(50) قد يكون لابن أبي أصيبعة يد في هذا الثناء لأنه لقيه واستفاد منه فوائد جمة.

(51) هو المحدث الأديب المشهور، وله ترجمة في عدد من المراجع، ومنها : وفيات الأعيان 3 :448-450.

هذا المجموع[52]، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، حسبما ذكر هنالك، فتولى النظر فيها من لا يصلح لها.[53] ولما أثني على أبي مروان الباجي عند الملك الكامل أراد صرف النظر في المدارس المصرية إليه، فسأل عنه فأخبر أنه نهض إلى الحج، فأمر بالبحث عنه في جميع بلاده وتلقي الركبان في شأنه، والإحسان إليه وإيفاده عليه، فطيرت الحمام من بلد إلى بلد في الوصاة به.[54]

فبينا أبو مروان قد قدم على قوص، كما ذكرنا آنفا، خرج إلى الركب قوم من قبل والي المدينة يسألون عنه حسبما أمروا به، فأخبروا بأنه في تلك القافلة، فاجتمعوا به وساروا معه إلى والي قوص، وكان يدعى بابن زغبوش[55]، فألقى إليه

(52) وقع للمؤلف سهو أو سبق قلم فابن دحية مذكور بعدما هنا لا قبله، وذلك في السفر الثامن من الغرباء (انظر صفحة 215 وما بعده).

(53) جاء في الذيل والتكملة (8 : 874) أن أبا سهل القصري خلف أبا الخطاب بعد وفاته بمدرسته، وأنه كان يتسامح كثيرا فيما يحدث به، وفي حسن المحاضرة (2 : 142) أن الذي ولي المدرسة الكاملية بعد أبي الخطاب هو أخوه أبو عمر عثمان ابن دحية.

(54) في حسن المحاضرة للسيوطي فصل لحمام الرسائل الذي اتخذه السلطان الأيوبي نور الدين سنة 567هـ واستعمله الذين جاءوا من بعده. (2 : 166-170). ونشير هنا إلى أن هذا الخبر المذكور في هذا الملخص لا أثر له في الحوليات المشرقية.

(55) قد يفهم من هذا الإسم أنه مغربي الأصل، وقد يكون من بني زغبوش الذين اشتهروا بمدينة مكناس في عهود المرابطين والموحدين، وكان منهم قضاة وولاة في الأندلس والمغرب. راجع الروض الهتون لابن غازي.

(56) لاذكر له في مكان آخر، ويبدو أنه من خدامه الذين رافقوه من إشبيلية.

أمر الملك الكامل في حقه وبالغ في إكرامه والحفاية به، ودفع له خمسين دينارا مصرية وأثوابا من لباس أهل تلك البلاد فيها حرير فأبى أبو مروان قبول شيء من ذلك، وبعد لأي ومراجعة طويلة قبل الدنانير على كراهة، ورد الأثواب، وقبض تلك الدنانير بعض خدمته وكان يدعى بابن مذكور[56] وسمعه حينئذ بعض خواصه وهو أبو الحجاج الأبذي[57]، وكان ممن حج معه، يدعو بدعاء قال فيه : اللهم اقبضني إليك قبل الاجتماع به.

ثم سار من قوص في النيل إلى اخميم[58] إلى منية ابن خصيب[59]، ولها مسجد جامع حسن على شاطئ النيل، فقال أبو مروان : قد كنت سمعت بهذا الجامع وأريد الصلاة به[60]، فصار إليه فإذا فيه جماعة اجتمعوا لقراءة العلم، فصلى به

(57) لعله الذي ترجم له ابن الزبير وقال فيه : (يوسف بن محمد بن قاسم الأبذي، فقيه حسيب يكنى أبا الحجاج له سماع عن ابن بشكوال ورواية عنه) فهو يشترك مع أبي مروان في الأخذ عن ابن بشكوال، وثمة أبو الحجاج الأبذي المعروف بالحاج الشفة، وهو حاج من طبقة أبي مروان وأقام بإشبيلية مدة ولكن وفاته قبل هذا التاريخ.

(58) مدينة في صعيد مصر تطيل كتب البلدان في ذكر غرائبها ومنها ذو النون. انظر الاستبصار : 48، والروض المعطار : 15، ورحلة ابن جبير : 31.

(59) هي التي تسمى اليوم بالمنيا، وقد مر بها ووصفها ابن جبير وابن بطوطة.

(60) تحدث ابن جبير وغيره عن هذا المسجد المبارك وذكر أنه منسوب لسيدنا إبراهيم الخليل وأن بفنائه أثر الدابة التي كان يركبها. (28).

(61) من الخانات التي كانت بمصر في زمن الأيوبين.

(62) يقول ابن رشيد : (فنزل بخان الملاحين من القاهرة لا بخان الرصاص خلافا لمن قال ذلك وأخطأ) ولسنا ندري هل يعني ابن عبد الملك بهذا فقد كان =

الظهر والعصر والمغرب، ولما هم بالانصراف تعرضه بعض أولئك الحاضرين وقد سألوا عنه فأخبروا به فأقبلوا إليه مسلمين عليه وراغبين منه في مبيته عندهم، فبات عندهم وانصرف من الغد إلى السفينة وبه شكاة، وسئل عن غدائه عند أولئك الذين أضافوه فقال : ما كان إلا يسير تمر وعسل.

وأقلع من منية ابن الخصيب إلى مصر، وقطع تلك المسافة في سبعة أيام، والشكاة متزايدة، ولما ورد مصر أراد دخولها في خفية حتى لا يشعر به أحد، فدخلها وقت العشاء ونزل منها بخان الملاحين[61]، ويعرف بخان ابن الرصاص[62]، ولم يعلم أحد بوصوله، فأقام به ليلته تلك ويومها، وتوفي في ثلث الليلة القابلة وهون الله عليه الموت ويسره تيسيرا عجيبا ؛ ولما أصبح ميتا أقبل جماعة من الصلحاء والزهاد في طائفة كبيرة من لفيف الناس، مغلسين[63] يقرعون باب الخان، ويقولون لقيمه : افتح لنا نصل على الفقيه أبي مروان الباجي المتوفى الليلة هنا[64] ؛ وكان ممن حضر ذلك الجمع رجل صالح فاضل من أهل العلم والدين يدعى بعز القضاة ويعرف بابن الجباب[65]، من بيت جلالة وعلم بمصر، فتوجه مع حفيد

بينهما ما يكون بين الأقران المتعاصرين، وفي الذيل والتكملة نقد قوي لابن عبد الملك في ابن رشيد.

(63) أي أنهم أتوا في وقت الغلس وهو آخر الليل.

(64) لا يخفى ما في هذا الكلام من المناقب والكرامات.

(65) بنو الجباب بيت علم ورئاسة في مصر تولى عدد منهم القضاء في مصر وهم مالكية ينتمون إلى الأغالبة، ولعل المراد هنا هو أبو الفضل أحمد بن محمد المنعوت بفخر القضاة المتوفى في سنة 648هـ وعز في المتن لعلها تحريف فخر. الوافي 8 : 55.

أخي أبي مروان[66] وبعض خواصه[67] إلى العادل ابن الملك الكامل الذي استنابه أبوه على مصر[68]، فوافاه بقصره من القلعة بالجبل المقطم المطل على القاهرة ومصر[69]، فأعلمه بوصول الفقيه أبي مروان فسر به وسأل عنه فقيل : وصل بارحة أمس وتوفي الليلة، فتأسف لذلك، وأمر بتجهيزه، فقال له حفيد أخيه وأصحابه : عنده جهازه، فشرع في غسله وتكفينه، وألقي في النعش ورمي عليه كساء أخضر، ولف بشريطتي غم[70] طويلتين لفّ لفّاً محكما متقاربا، حتى كان بين الشريطتين غلظ إصبع[71]، وصلى عليه جمهور الناس بالخان.[72] ولما فرغ الغاسل منه وخرج بالرداء الذي غسله فيه تعلق الناس بذلك الرداء وغلبوه عليه حتى لم يبق بيده منه إلا قدر ما أمسك بأنامله، والسعيد منهم من صار إليه منه

(66) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد، ووالده هو الذي ملك إشبيلية ثم اغتاله ابن الأحمر.

(67) يفهم من هذا وغيره أن أبا مروان كان معه جماعة من أصحابه المقربين رافقوه في الحج وبقوا معه حتى وفاته.

(68) كان العادل يومئذ ينوب عن والده الملك االذي كان في دمشق فلما توفي بها بعد قليل من وفاة أبي مروان خلفه وسمي بالملك العادل. انظر ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان 5 : 84-86.

(69) الجبل المقطم كما ورد هنا أو جبل المقطم هو الجبل المشرف على القرافة المشهورة، والقلعة من معالم القاهرة أسسها صلاح الدين الأيوبي.

(70) كذا بالأصل، والشريطة والشريط : الحبل المفتول، أما كلمة غم فلم نجد لها معنى هنا وبما كان المقصود أنهما شريطتان سوداوان.

(71) هذا التدقيق في الوصف يدل على العيان والمشاهدة.

(72) المقصود به خان الملاحين الذي سبق ذكره.

قدر فتيل لكثرة ترامي الناس عليه، وكان منهم من رغب من الغاسل في بيع ما بقي عنده من الرداء، فباعه منه ولم يكن بقي عنده إلا يسير.[73]

وحمل الفقيه على تلك الحالة في وقت صلاة العصر إلى المصلى بالشريعة وسير به سيرا حثيثا، فاستبق الناس إليه فمنهم من يرمي إليه بعمامته فإذا وصلت إلى النعش وجذبها اشترك ناس معه فيها فلا يبقى له منها إلا قدر ما يمسك بيده، ومنهم من يرسل رداءه فيجري الحال فيه على ذلك، وصلي عليه هناك مرة ثانية في جمع عظيم، ثم سير به كذلك إلى مدفنه بالقرافة حيث قبور الصالحين والفضلاء، وإذا جماعة كبيرة من كبراء الناس وأعلامهم ينتظرونه هناك، لم يكونوا صلوا عليه فقالوا : لابد أن نصلي عليه قبل دفنه، فصلوا عليه وهو بشفير القبر مرة ثالثة، ووري في قبره بمقبرة الشهداء المنسوبة إلى سارية[74]، واختطف الناس تراب قبره مرة ثانية ثم ثالثة، وأقبل عليهم الليل وانفصلوا عنه فلما كان من الغد

(73) يدل هذا وما بعده على صلاح أبي مروان وعلى ما قد يكون شاع بين الناس من علمه وصلاحه وحسبه ومحنته، وقد كان للمصريين يومئذ على العموم اعتقاد حسن في أهل الصلاح من المغرب.

(74) هو سارية الجبل، وقد زار ابن جبير مشهده بالقرافة ووقف على موضع قبور الشهداء الذين استشهدوا معه. الرحلة : 17-19. وانظر أيضا تحفة الأحباب : 369. وقد ذكر ابن رشيد كذلك أن أبا مروان دفن بالمقبرة المنسوبة إلى سارية وقال إنه لم يرو هذا عن ابن الخضار مصدره في أخبار رحلة أبي مروان، فلعله استفاد ذلك من ابن عبد الملك ولم يذكره.

أصبح قبره مبنيا كأحسن ما يبنى من القبور[75]، فتساءل الناس عمن بناه، فلم يجدوا عنه مخبرا، وجعل حفيد أخيه وأصحابه عند رأسه تاريخا. وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامنة والعشرين من جمادى الأولى من عام خمسة وثلاثين وستمائة

(75) روى ابن رشيد عن ابن الخضار قوله : «وسرنا إلى قبره صبيحة دفنه فألفينا عليه قبة قد أحكمت وأتم بناؤها ليلا، ولم ندر من صنعها عناية ربانية تومئ بسعادته وتشهد بوضع القبول له».

الملحق السابع

أخبار رواها ابن أبي أصيبعة
عن أبي مروان الباجي
حول أطباء الأندلس والمغرب
في عصر الموحدين

أخبار رواها ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان الباجي حول أطباء الأندلس والمغرب في عصر الموحدين

1 ـ «وحدثني[1] القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ثم الباجي قال : حدثني من أثق به أنه كان بإشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب يعرف بالفار[2]، وله كتاب جيد في الأدوية المفردة سفران، وكان أبو مروان ابن زهر كثيرا ما يأكل التين ويميل إليه. وكان الطبيب المعروف بالفار لايغتذي منه بشيء، وإن أخذ منه شيئا فيكون واحدة في السنة، فكان يقول هذا لأبي مروان ابن زهر إنه لابد أن تعرض لك نغلة صعبة بمداومتك أكل التين، والنغلة هو الدبيلة بلغتهم[3]، وكان أبو مروان يقول له لابد لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئا من التين أن يصيبك الشناج[4]، قال : فلم يمت المعروف بالفار إلا بعلة التشنج وكذلك أيضا عرض لأبي مروان ابن زهر دبيلة في جنبه، وتوفي بها. وهذا من أبلغ ما يكون من تقدمة الإنذار. قال : ولما عرض لأبي مروان هذه

(1) ابن أبي أصبيعة هو الذي يقول وحدثني.

(2) لا توجد له ترجمة.

(3) كلمة الدبيلة في العامية الأندلسية والمغربية لهما معنيان: المعنى الطّبي المذكور، وهو النخلة أو قرحة معينة، والمعنى الآخر هو الهم والغم.

(4) الشناج أو التشنج : مرض ينشأ عن يبس في الأعضاء.

العلة، كان يعالجها ويصنع لها مراهم وأدوية، ولم يؤثر نفعا يعتد به. فكان يقول له ابنه أبو بكر يـاأبي لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني، ولو زدت من هذا الدواء أو استعملت دواء كذا وكذا، فكان يقول له يـابني إذا أراد الله تغيير هذه البنية فإنه لا يقدر لي أن أستعمل من الأدوية إلا ما تتم به مشيئته وإرادته».

2 - وحدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي من أهل إشبيلية قال، قال لي الشيخ الوزير الحكيم أبو بكر بن زهر[5] : إنه لازم جدي عبد الملك الباجي[6] سبع سنين يشتغل عليه، وقرأ عليه كتاب المدونة لسحنون[7] في مذهب مالك، وقرأ عليه أيضا مسند ابن أبي شيبة[8] وحدثني أيضا القاضي أبو مروان الباجي عن أبي بكر بن زهر أنه كان شديد البأس يجذب قوسا مائة وخمسين رطلا بالإشبيلي، والرطل الذي بإشبيلية ستة عشر أوقية، وكل أوقية عشرة دراهم[9]، وأنه كان جيد اللعب بالشطرنج جدا ولم يكن

(5) كان مولد أبي بكر بن زهر سنة 507 هـ وكانت وفاة أبي مروان عبد الملك الباجي سنة 532 هـ.

(6) تقدمت الإشارة إلى ترجمته.

(7) انظر رواية أبي مروان عبد الملك المذكور للمدونة في فهرسة ابن خير: 240.

(8) لعله مصنف ابن أبي شيبة، فهو الذي كان أبو مروان يرويه ويروى عنه، انظر فهرسة ابن خير: 131.

(9) يختلف تقدير الرطل باختلاف البلدان، ولذلك ذكر تحديده عند أهل إشبيلية، وهو عند أهل بغداد وأهل مصر إثنا عشرة أوقية، وفي تقديرالأوقية كذلك خلاف.

في زمانه أحد مثله في صناعة الطب، وخدم الدولتين. وذلك أنه لحق دولة الملثمين واستمر في الخدمة مع أبيه[10] في آخر دولتهم.

ثم خدم دولة الموحدين وهم بنو عبد المومن. وذلك أنه كان في خدمة عبد المومن هو وأبوه، وفي أيام عبد المؤمن مات أبوه وبقي هو في خدمته ثم خدم لابن عبد المؤمن أبي يعقوب يوسف، ثم لابنه يعقوب أبي يوسف الذي لقب بالمنصور . ثم خدم ابنه أبا عبد الله محمد الناصر، وفي أول دولته توفي أبو بكر ابن زهر، وكانت وفاته رحمه الله في عام ستة وتسعين وخمسمائة بمراكش، وقد أتاها ليزور ودفن هناك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ[11]، وعمر نحو التسعين سنة.[12] قال : وكان أبو بكر بن زهر صائب الرأي حسن المعالجة جيد التدبير، وقد عرف هذا منه، حتى إنه يوما كان قد كتب والده أبو مروان بن زهر نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة، فلما رآه أبو بكر بعد ذلك، وكان في حالة شبيبة قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر، فلم يتناول عبد المؤمن من ذلك الدواء . ولما رآه أبوه قال يا أمير المؤمنين إن الصواب في قوله، وبدل الدواء المفرد بغيره فأثر نفعا بينا. وألف أبو بكر بن زهر الترياق الخمسيني[13]

(10) تحدث أبو مروان عبد الملك عن هذه الخدمة في كتاب التيسير.

(11) دفن فيها عدد من أعلام العصر الموحدي.

(12) في المطبوع : وعمر نحو الستين، وهو تحريف وصوابه كما أثبتنا.

(13) هو ترياق مركب من خمسين مادة.

للمنصور أبي يوسف يعقوب. قال : وحدثني من أثق به أن رجلا من بني اليناقي[14] كان صديقا للحفيد أبي بكر بن زهر، وكان يجالسه كثيرا ويلعب معه بالشطرنج، وأنه كان عند الحفيد أبي بكر يوما وهما يلعبان فرآه الحفيد على غير ما يعهده به من الانبساط، فقال له ما لخاطرك كأنه مشتغل بشيء عرفني ما هو ؟ فقال نعم، إن لي بنتا زوجتها لرجل وهو يطلبها، وقد احتجت إلى ثلاثمائة دينار فقال له: العب وما عليك، فإن عندي في وقتنا هذا ثلاثمائة دينار إلا خمسة دنانير تأخذها، فلعب معه ساعة واستدعى بالذهب وأعطاه له، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلاثمائة دينار إلا خمسة. فقال له ابن زهر ماهذا ؟ فقال إنني بعت زيتونا لي بسبعمائة دينار[15]، وقد أتيت منها بثلاثمائة دينار إلا خمسة عوض الذي تفضلت به علي، وأقرضتني إياه وقد بقي عندي حاصلا أربعمائة دينار. فقال له ابن زهر ارفع هذا عندك وانتفع به، فإنني ما دفعت لك الذهب على أني أعود آخذه أبدا، فأبى الرجل وقال إنني بحمد الله بحال سعة، ولا لي حاجة أن آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلا وتفاوضا في ذلك، فقال له ابن زهر : ياهذا أنت صديقي أو عدوي ؟ فقال له بل صديقك، وأحب الناس فيك. فقال له ابن زهر والله لئن لم

(14) بنو اليناقي من بيوتات إشبيلية النبيهة، وفي ديوان الأعمى التطيلي وفي أزجال ابن قزمان ذكر لبعضهم، وفي تاريخ ابن الفرضي ترجمة لأحدهم.

(15) إشبيلية مشهورة بالزيتون ولا سيما الجهة المعروفة بالشرف، ومنه كانت ثروة بعض بيوتات إشبيلية.

تأخذه لأعادينك بسببه، ولا أعود أكلمك فأخذه منه وشكره على فعله».

3 - «قال القاضي أبو مروان الباجي : وكان المنصور قد قصد أن لا يترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا في بلاده، وأباد كثيرا منها بإحراقها بالنار، وشدد في أن لا يبقى أحد يشتغل بشيء منها، وأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحقه ضرر عظيم. ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضا إلى الحفيد أبي بكر بن زهر، وأنه هو الذي ينظر إليه. وأراد الخليفة أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر، ولا يقال عنه أنه يشتغل بها، ولا يناله مكروه بسببها، ولما نظر ابن زهر في ذلك، امتثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم، وأن لا يبقى شيء منها، وإهانة المشتغلين بها.

وكان بإشبيلية رجل من أعيانها يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده وعنده شر، فعمل محضرا في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه، وأن عنده في داره شيئا كثيرا من كتبه، وجمع فيه شهادات عدة وبعث به إلى المنصور، وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج[16] وهو موضع بناه

(16) حصن الفرج إسم حصن قديم خارج إشبيلية كان في عهد بني عباد واندثر ثم بنى المنصور حصنا سماه حصن الفرج كذلك، انظر البيان المغرب - قسم الموحدين - 215.-

قريبا من إشبيلية، على ميلين منها، صحيح الهواء بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته. وكان أبو بكر ابن زهر هو الذي أشار على المنصور أن يبنيه في ذلك الموضع، ويقيم فيه في بعض الأوقات، فلما كان المنصور به، وقد أتاه المحضر نظره، ثم أمر بأن يقبض على الذي عمله ويودع السجن ففعل به ذلك، وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه، ثم قال المنصور : إنني لم أول ابن زهر في هذا إلا حتى لا ينسبه أحد إلى شيء منه. ولا يقال عنه. ووالله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا قدامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم، لما أعرفه في ابن زهر من متانة دينه وعقله».

4 – «وحدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كان أبو زيد عبد الرحمان بن يوجان[17] وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله، وعلو منزلته وعلمه، فاحتال عليه في سم صيره مع أحد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه إلى الحفيد بن زهر في بيض، وكانت مع الحفيد أيضا بنت أخيه، وكانت أخته[18] وابنتها هذه

(17) انظر بعض أخباره في البيان المغرب: 170 - 225 232- 238- 253, وقد كان صاحب نفوذ كبير في عهد المنصور وعهد ولده الناصر، وكان يعمل على تصفية أو تنحية من يتقربون من الخليفة، وقد هجاه بعد نكبته الشاعر الجراوي بسبب ذلك، انظر أيضا الغصون اليانعة 101.

(18) هي أم عمر بنت أبي مروان ابن زهر وأخت أبي بكر، انظر الذيل والتكملة 483.8.

عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما تتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور، ولا تقبل المنصور وأهله ولدا إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها. فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت أخيه ماتا جميعا ولم ينفع فيهما علاج. قال : ولم يمت عبد الرحمان بن يوجان إلا مقتولا قتله بعض أقاربه.

5 - «وأنشدني القاضي أبو مروان الباجي قال، أنشدني أبو عمران بن عمران[19] الزاهد المرتلي القاطن بإشبيلية قال أنشدني الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه في آخر عمره :

إني نظرت إلى المرآة إذ جليت
فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شُيَيْخاً لست أعرفه
وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي مثواه كان هنا
متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت
قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هون عليك فهذا لا بقاء له
أما ترى العشب يفنى بعدما نبتا

(19) انظر ترجمة هذا الزاهد في التكملة:687 وصلة الصلة:52.3 53- قال ابن الزبير:«وشعره كثيرمدون على حروف المعجم» وهو مثبوت في شرح الشريشي للمقامات وغيره.

كان الغواني يقلن لي أخي فلقد

صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا[20]

وأنشدني أيضا القاضي أبو مروان الباجي عن الحفيد بن زهر له من أبيات :

أعد الحديث علي من جنباته

إن الحديث عن الحبيب حبيب[21]

6 - «حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كنا في تونس مع الناصر[22] وكان في العسكر غلاء، وقل وجود الشعير فعمل أبو الحجاج بن موراطير[23] موشحا في الناصر،

(20) سمع عبد الواحد المراكشي البيتين الأولين من إنشاد أبي بكر بن زهير (المعجب:91) وقد وردت القطعة في نفح الطيب برواية مغايرة.

وفي رفع الحجب للشريف السبتي (1: 43) ما يلي: «أخبرني الحاج المحدّث أبو عبد الله ابن الخضار إذنا قال: أنشدني أبو مروان الباجي قال: أنشدني أبو بكر ابن زهر:

ولي واحد مثل فرخ القطاة ... تخلّفت قلبي رهينا لديه

أحن إليه فيا وحشتي ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقته ... فيبكي علي وأبكي عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه إليّ ومنّي إليه

(21) انظر أشعاراً لابن زهر في الذيل والتكملة 6: 400 - 403, والمعجب: 9.

(22) كانت حركة الناصر إلى بلاد إفريقية لاسترجاعها من يد ابن غانية في سنة 601 هـ ولم يعد إلى مراكش إلافي سنة 604هـ، انظر البيان المغرب 243 - 250.

(23) من أطباء الموحدين له ترجمة في التكملة رقم 2091, وبغية الوعاة: 421.

وأتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في بعض موشحاته وذلك أن ابن زهر قال :

ما العيد في حلة وطاق ... وشم طيب

وإنما العيد في التلاق ... مع الحبيب[24]

فعمل ابن موراطير :

ما العيد في حلة وطاق ... من الحرير

وإنما العيد في التلاق ... مع الشعير

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت قيمتها في ذلك الوقت خمسين دينارا. وكان أبو الحجاج بن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب. ولما توفي المنصور خدم لولده الناصر، وهو أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ومن بعد الناصر أيضا خدم لولده أبي يعقوب يوسف المستنصر بن الناصر وكان أبو الحجاج بن موراطير قد عمر عمرا طويلا، وكان حظيا عند المنصور مكيناً عنده رفيع المنزلة وكان يدخل مجلس الخاصة مع الأشياخ للمذاكرة في العربية وغيرها، ومات بالنقرس في مراكش في دولة المستنصر.[25]»

(24) لا يوجد من هذا الموشح إلا ما ذكر هنا، وهو منسوب لغير ابن زهر في المقتطف لابن سعيد ومن نقل عنه كابن خلدون وغيره.

(25) كانت وفاته سنة 619هـ.

7 - «حدثني أبو مروان الباجي قال : لما توجه أبو محمد عبد الله بن الحفيد[26] إلى الحضرة خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في الطريق نحو عشرة آلاف دينار قال : ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدية لما فتحها الناصر خدمه على ما جرت به العادة وقال له : إنني يا أمير المؤمنين بحمد الله بكل خير من إنعامكم وإحسانكم علي وعلى آبائي. وقد وصل إلي مما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي، وأن أجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المؤمنين فأكرمه الناصر إكراما كثيرا، وأطلق إليه من الأموال والنعم ما يفوق الوصف، وكان مجلسه إذا حضر قريبا منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد، فكان يجلس إلى جانب الخليفة الناصر الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي يوسف حجاج القاضي[27]. وكان يجلس تلوه القاضي الشريف أبو عبد الله الحسيني[28]، وكان يجلس تلوه أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر بن زهر، وكان يجلس تلوه أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي[29] صاحب

(26) وردت ترجمته في طبقات الأطباء، وهي وغيرها من تراجم أطباء العصر الموحدي مما رواه ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان الباجي.

(27) انظر ترجمته في الذيل رالتكملة 8: 285.

(28) انظر ترجمته في الذيل والتكملة 8: 308 و المصادر التي أحلنا عليها هناك.

(29) انظر ترجمته في الذيل والتكملة 8: 246 - 254.

المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية[30]. وكان هذا في النحو يشتغل عليه أبو محمد عبد الله بن الحفيد، ويجلس بين يديه ويتعلم منه».

8 - «ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال : كنت يوما عنده وإذا به قد قال لي إنني رأيت البارحة في النوم أختي. وكانت أخته قد ماتت قبله[31]، قال : وكأني قلت لها يا أختي بالله عرفيني كم يكون عمري ؟ فقالت لي طابيتين ونصفا، والطابية هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الإسم طولها عشرة أشبار[32]، فقلت لها أنا أقول لك جدا وأنت تجيبيني بالهزء.[33] فقالت لا والله ما قلت لك إلا جدا، وإنما أنت ما فهمت، أليست الطابية عشرة أشبار، والطابيتين ونصفا خمسة وعشرون؟ يكون عمرك خمسا وعشرين سنة، قال القاضي أبو مروان فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا فلعله أضغاث أحلام. قال: ولم تكمل تلك السنة إلا وقد مات فكان عمره كما قيل له خمسا وعشرين سنة لا تزيد ولا تنقص، وخلف ولدين كل منهما فاضل في نفسه كريم في جنسه، أحدهما يسمى أبا

(30) تسمى أيضا بالتوطئة و القانون والإعتماد والكراسة وهي مطبوعة، ولها شروح طبع بعضها، انظر الدليل والتكملة 8: 248.

(31) قد تقدم أنها ماتت مع والدها أبي بكر ابن زهر.

(32) ما يزال البناء بالطابية معروفا في بعض جهات المغرب.

(33) في المطبوع: بالهزء، وكلمة الهزل أنسب منها.

مروان عبد الملك، والآخر أبا العلاء محمد، والأصغر منهما، وهو أبو العلاء معتن بصناعة الطب، وله نظر جيد في كتب جالينوس وكان مقامهما في إشبيلية[34]».

9 - «حدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي، ثم الباجي : أن أخاه القاضي أبا عبد الله محمد ابن أحمد[35] لما كان صغيرا أصاب عينه عود، واخترق السواد حتى إنه يئس له من البرء فاستدعى أبوه أبا جعفر بن هارون[36]، وأراه عين ولده وقال له : أنا أدفع لك ثلاثمائة دينار وتعالجها. فقال : والله ما حاجة إلى هذا الذي ذكرته. وإنما أداويه ويصلح إن شاء الله تعالى. وشرع في مداواته إلى أن صلحت عينه وأبصر بها وأصاب ابن هارون خدر وضعف في أعضائه فالتزم داره بإشبيلية وكان يطب الناس وتوفي بإشبيلية».

10 - «حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كان القاضي أبو الوليد بن رشد حسن الرأي ذكي الفؤاد رث البزة قوي النفس وكان قد اشتغل بالتعليم وبالطب على أبي جعفر

(34) يبدو أن أبا مروان خلفهما في إشبيلية لما رحل عنها وليس ثمة ما يشير إلى حالهما ومصيرهما بعد ذلك.

(35) انظر ترجمة في الذيل والتكملة 5 : 686.

(36) من الأطباء المشهورين في عصر الموحدين، انظر ترجمته في عيون الأنباء 3: 121.

ابن هارون ، ولازمه مدة وأخذ عنه كثيرا من العلوم الحكمية. وكان ابن رشد قد قضي[37] مدة في إشبيلية قبل قرطبة، وكان مكينا عند المنصور وجيها في دولته، وكذلك كان ولده المنصور يحترمه كثيرا قال : ولما كان المنصور بقرطبة وهو متوجه إلى غزوة الفنس، وذلك في عام إحدى وتسعين وخمسمائة استدعى أبا الوليد بن رشد، فلما حضر عنده احترمه كثيرا وقربه إليه حتى تعدى به الموضع الذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ حفص الهنتاني صاحب عبد المومن، وهو الثالث أو الرابع من العشرة، وكان هذا أبو محمد عبد الواحد قد صاهر المنصور وزوجه بابنته لعظم منزلته عنده[38]، ورزق عبد الواحد منها ابنا اسمه علي، وهو الآن صاحب إفريقية[39]، فلما قرب المنصور ابن رشد وأجلسه إلى جانبه حادثه، ثم خرج من عنده وجماعة من الطلبة، وكثير من أصحابه ينتظرونه فهنأوه بمنزلته عند المنصور وإقباله عليه، فقال والله إن هذا ليس مما يستوجب الهناء به فإن أمير المؤمنين قد قربني دفعة إلي أكثر مما كنت أؤمله فيه، أو يصل رجائي إليه، وكان جماعة من أعدائه قد شنعوا بأن أمير المؤمنين قد أمر بقتله فلما خرج سالما أمر بعض خدمه أن يمضي إلى بيته، ويقول لهم أن يصنعوا له

(37) أي تولى القضاء.

(38) انظر حول هذه المصاهرة وفيات الأعيان 7: 10 - 11 و الأعلام للمراكشي 4: 121.

(39) ولد أبي محمد عبد الواحد الذي أصبح صاحب إفريقية هو أبو زكرياء يحي.

قطا(40) وفراخ حمام مصلوقة متى يأتي إليهم، وإنما كان غرضه بذلك تطييب قلوبهم بعافيته.»

ثم إن المنصور فيما بعد نقم على أبي الوليد بن رشد، وأمر بأن يقيم في اليسانة(41) هي بلد قريب من قرطبة، وكانت أولا لليهود، وأن لا يخرج عنها. ونقم أيضا على جماعة أخرى من الفضلاء الأعيان، وأمر أن يكونوا في مواضيع أخرى، وأظهر أنه فعل بهم ذلك بسبب ما يدّعى فيهم أنهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الأوائل. وهؤلاء الجماعة هم أبو الوليد بن رشد وأبو جعفر الذهبي(42)، والفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(43) قاضي بجاية، وأبو الربيع الكفيف(44)، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرائي(45)، وبقوا مدة. ثم إن جماعة من الأعيان بإشبيلية شاهدوا لابن رشد أنه على غير ما نسب إليه، فرضي المنصوور عنه وعن سائر الجماعة، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وجعل أبا جعفر الذهبي مزوارا(46) للطلبة ومزوارا للأطباء. وكان يصفه المنصور ويشكره ويقول: إن أبا جعفر الذهبي كالذهب الإبريز الذي لم يزد في السبك إلا جودة، قال القاضي أبو مروان : ومما كان في قلب

(40) القطا نوع من الطير.

(41) مدينة من أعمال مدينة قرطبة.

(42) انظر ترجمته في الذيل والتكملة 1: 279 - 284.

(43) له ترجمة في الذيل و التكملة 8: 271 - 272.

(44) لعله أبو الربيع ابن تازكوارت القبائلي. دعامة اليقين: 49.

(45) هو القراوي أو الجراوي، الشاعر المشهور.

(46) المزوار في استعمال المغاربة هو النقيب والرئيس.

المنصور من ابن رشد أنه كان متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بأن يقول : اسمع يا أخي(47). وأيضا فابن رشد كان قد صنف كتابا في الحيوان، وذكر فيه أنواع الحيوان، ونعت كل واحد منها. فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : وقد رأيت الزرافة عند ملك البربر يعني المنصور، فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه، وكان أحد الأسباب الموجبة في أنه نقم على ابن رشد وأبعده. ويقال إنه مما اعتذر به ابن رشد أنه قال : إنما قلت ملك البرين(48)، وإنما تصحفت على القارئ فقال ملك البربر. وكانت وفاة القاضي أبي الوليد بن رشد رحمه الله في مراكش أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وذلك في أول دولة الناصر، وقد كان ابن رشد قد عمر طويلا، وخلف ولدا طبيبا عالما بالصناعة، يقال له أبو الفضل عبد الله(49). وخلف أيضا أولادا قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في القضاء الكور».

11- «و حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : سألت القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري(50) عن سبب تعلمه صناعة الطب فقال لي : إنني كنت كثير اللعب بالشطرنج، ولم

(47) كان أبو مروان الباجي ممن يحضرون مجلس المنصور.

(48) نسب هذا التوجه إلى أبي عبد الله الأصولي في عنوان الدراية: 121 - 122.

(49) له ترجمة في طبقات الأطباء 3: 127.

(50) ترجمته في الذيل و التكملة 6: 433، وطبقات الأطباء 3: 130 - 131.

يكد يوجد من يلعب مثلي به في إشبيلية إلا القليل فكانوا يقولون أبو بكر الزهري الشطرنجي، فكان إذا بلغني ذلك أغتاظ منه ويصعب علي، فقلت في نفسي لابد أن أشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لأنعت به، ويزول عني وصف الشطرنج[51] وعلمت أن الفقه وسائر الأدب ولو اشتغلت به عمري كله، لم يخصني منه وصف أو نعت به، فعدلت إلى أبي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب. وكنت أجلس عنده وأكتب لمن جاء مستوصفا من المرضى الرقاع، واشتهرت بعد ذلك بالطبيب، وزال عني ما كنت أكره الوصف به. وعاش أبو بكر بن الحسن الزهري خمس وثمانين سنة، توفي في دولة المستنصر».

12 - ومن موشحاته - ابن زهر - مما أنشدني أبو عبد الله محمد[52]، سبط الحكيم أبي محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر ابن زهر، وكان والد هذا المذكور أبي عبد الله وهو أبو مروان أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي، وقد تزوج ببنت أبي محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر ابن زهر، ورزق منها أبا عبد الله محمد. وكان - أعني أبا مروان أحمد - قد ملك إشبيلية، وبقيت في يده تسعة أشهر ثم

(51) كان اللعب بالشطرنج شائعا في الأندلس، و لا سيما بين المتأدبين، وقد ألف فيه بعضهم.

(52) هو حفيد أخي أبي مروان الذي رافقه في رحلته. وعنه يروي ابن أبي أصيبعة هذه الموشحات.

قتله ابن الأحمر غدرا في سنة ثلاثين وستمائة وكان عمره إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة. فمن ذلك - قال وهي من أول قوله -:

زعمت أنفاسي الصعدا ... أن أفراح الهوى نكد
هام قلبي في معذبه ... وأنا أشكو لمطلبه
إن كتمت الحب مت به
وإذا ما صحت واكبدا ... فرح الأعداء وانتقدوا
أيها الباكي على الطلل ... ومدير الراح بالأنمل
أنا من عينيك في شغل
فدمع الدمع السفوح سدى ... وضرام الشوق تتقد
مقلتي جادت بما ملكت ... عرفت ذل الهوى فبكت
وشكت مما بها ورثت

وفؤادي هائم أبدا ... ما عليه للسلو يد

إن عيني لا أذنبها ... أتعبت قلبي وأتعبها
لنجوم بت أرقبها
رمت أن أحصي لها عددا ... وهي لا يحصى لها عدد
وغزال يغلب الأسدا ... جئت لاستنجاز ما وعدا
فانزوى عني وقال غدا

أترى يا قوم أين هو غدا ... في أي مكان يسكن أو نجد[53]

وقال أيضا:

(53) لم يرد هذا الموشح إلا في طبقات الأطباء، ويرجع الفضل في حفظه إلى سبط الوشاح المذكور.

شمس قارنت بدرا   راح ونديم
أدر كؤوس الخمر   عنبرية النشر
إن الروض ذو بشر
وقد درع النهرا   هبوب النسيم
وسلت على الأفق   يد الغرب والشرق
سيوفا من البرق
وقد أضحك الزهرا   بكاء الغيوم
ألا أن لي مولى   تحكم فاستولى
أما إنه لولا
دمع يفضح السرا   لكنت كتوم
أنى لي كتمان   ودمعي طوفان
شبت فيه نيران
فمن أبصر الجمرا   في لج يعوم
إذا لامني فيه   من رأى تجنبه
شدوت أغنيه
لعل له عذرا   وأنت تلوم[54]

وقال أيضا:

أيها الساقي إليك المشتكى   قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته   وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا   وسقاني أربعا في أربع

(54) لم يرد إلا في طبقات الأطباق، وخرجته لشاعر قديم. العقد 2: 142.

غصن بان مال من حيث استوى   بات من يهواه من فرط الجوى
خفق الأحشاد موهون القوى
كلما فكر في البين بكى
ماله يبكي بما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومي عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواي مما أجد
مثل حالي حقه أن يشتكي
كمد اليأس وذل الطمع
ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت فاسمع خبري
شقيت عيناي من طول البكا
وبكى بعضي على بعضي معي
كبد حرى ودمع يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف
قد نما حبك عندي وزكا
لا يظن الحب أني مدعي[55]

وقال أيضا:

(55) ورد هذا الموشح في عدد من المصادر ومنها: المغرب ودار الطراز، وإرشاد الأريب والوافي بالوفيات وجيش التوشيح وتوشيع التوشيح وغيرها.

يا صاحبي نداء مغتبط بصاحب

لـلـه ما ألقاه من فقد الحبائب

قلب أحاط به الجوى من كل جانب

أي قـلـب هـائـم

لا يستريح من اللواحي

يا من من أعانقه بإحناء الضلوع

وأقيمه بدلا من القلب الصد

أنا للغرام وأنت للحسن البديع

وكلام اللائم

شيء يمر مع الرياح

أنحى على رشدي وأفقدني صلاحي

ثغر ثني الأبصار عن نور الصباح

يسقى بمختلطين من مسك وراح

كالحباب العائم

في صفحة الماء القراح

من لي به بدرا تجلى في الظلام

علقت من وجناته بدر التمام

وعلقت من أعطافه لدن القوام

كالقضيب الناعم

لم يستطع حمل الوشاح

حملتني في الحب ما لا يستطاع

شوقا يراع لذكره من لا يراع

بل أنت أظلم من حكم مطاع

ومع أنك ظالمي

أنت هو سؤلي واقتراحي (56)

وقال أيضا :

حي الوجوه الملاحا وحي كحل العيون

هل في الهوى من جناح وفي نديم وراح

رام النصوح صلاحي

وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمجون

يا غائبا لا يغيب أنت البعيد القريب

كم تشتكيك القلوب

أثخنتهن جراحا واسأل سهام العيون

أبكي العيون البواكي تذكار أخت السماك

حتى حمام الأراك

بكى بشجو و ناحا على فروع الغصون

ألقى إليها زمامه صب يداوي غرامه

ولا يطيق الملامه

غدا بشوق وراحا ما بين شتى الظنون

يا راحلا لم يودع رحلت بالأنس أجمع

والعجز يعطي ويمنع

مروا وأخفوا الرواحا سحرا وما ودعوني (57)

(56) ورد أيضا في المغرب 1: 237 - 247 و جيش التوشيح : 206-205.

(57) ورد أيضا في المغرب 1: 274 - 275.

وقال أيضا :

هل ينفع الوجد أو يفيد   أم هل على من بكى جناح
يا منية القلب غبت عني   فالليل عندي بلا صباح
أفديه من معرض تولى   لا عين منه ولا أثر
عذبني في هواه كلا   لم يبق مني ولم يذر
يا عين عيني فليس إلا   صبر على الدمع والسهر
ويفعل الشوق ما يريد   في كبد كلها جراح
يا مخجل البدر لا تسلني   عن جور الحاظك الملاح
زد على بهجة النهار   من حسنه الدهر في ازدياد
لحظ له سطوة العقار   يفعل في العقل ما أراد
خداه كالورد في البهار   يقطف باللحظ أن يكاد
وذلك المبسم البرود   حصاه در وصرف راح
أو مثل ما قلت ماء مزن   يسقي به يانع الأقاح
يا من له أبدع الصفات   يا غصن يا دعص يا قمر
غبت فلم يأت منك آت   فاستوحش السمع والبصر
لولا صبا تلكم الجهات   لذاب قلبي من الفكر
يا أيها النازح البعيد   جاءت بأنبائك الرياح
إن الصبا عنك أخبرتني   ما اهتز روض الربى وفاح
يا ساحرا فوق كل ساحر   ومن له حسنه أصف
وجه له كالصباح باهر   أردية الحسن يلتحف
كالروض حفت به الأزهار   يقطف باللحظ أم قطف
كالبدر في ليلة السعود   أشرق لالاؤه ولاح
كالغصن اللدن في التثني   تهز أعطافه الرياح
من لي بمخضوبة البنان   ممشوقة القد والدلال
من هجرها مشية الزمان   ماض ومستقبل وحال

فيها رثى عادل لشاني   ثم انثنى ضاحكا وقال:
عاشق ومسكين الله يريد   وارض لمن يعشق الملاح
فدع يهجر أو يصلني   ليس على ساحر اقتراح[58]

13 ـ وأخبرني القاضي أبو مروان الإشبيلي أنه رأى قبر ابن باجة [بفاس] وقريبا من قبره قبر أبي بكر ابن العربي الفقيه صاحب التصانيف.

(58) لم يرد إلا في طبقات الأطباء.

الملحق الثامن

نصوص من فهرسة ابن خير تظهر
مكانة أعلام بني الباجي الإشبيليين
في الروايات والأسانيد والتآليف

نصوص من فهرسة ابن خير تظهر مكانة أعلام بني الباجي الإشبيليين في الروايات والأسانيد والتآليف

1 – كتاب أحكام القرآن تأليف إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله[1] : حدثني به الشيخ القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع في رمضان المعظم من سنة 526 هـ قال : حدثني به أبي وعماي : أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد، قالوا كلهم : حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي، قال : حدثنا به أبو علي أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن يوسف بن يعقوب[2]، قال : أخبرنا به المقدادي[3] عن إسماعيل بن إسحاق القاضي مؤلفه رحمه الله. قال أبو عبد الله الباجي : وأخبرنا به أبو علي المذكور أيضا عن عمه أبي الحسن عبد الصمد بن الحسين[4] قال : حدثني عمي القاضي أبو عمر محمد بن يوسف[5]، قال : أنبأنا إسماعيل بن إسحاق.

(1) ترجمة القاضي إسماعيل في ترتيب المدارك 4: 278–293.
(2) من قرابة القاضي إسماعيل.
(3) لعله من تلاميذ القاضي إسماعيل.
(4) له ترجمة في ترتيب المدارك 5: 266 .
(5) من قرابة القاضي إسماعيل.

2 – كتاب تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام رحمه الله[6]: حدثني الشيخ الإمام أبو عمر أحمد بن عبد الله بن صالح الأزدي رحمه الله[7] قراءة مني عليه في مسجده بإشبيلية، قال : حدثني به الفقيه المشاور أبو محمد عبد الله ابن إسماعيل بن خزرج[8] قراءة عليه، قال : حدثني به الفقيه محمد بن عبد الله بن يزيد اللخمي الإشبيلي، ويعرف بابن الأحدب[9]، قال : حدثني به الفقيه الراوية أبو محمد عبد الله ابن محمد بن علي اللخمي الباجي عن أبي عمر أحمد بن خالد ابن يزيد[10], عن محمد بن عبد السلام الخشني[11] عن سلامة ابن شبيب النيسابوري[12] عن عبد الرزاق بن همام مؤلفه رحمه الله.

3 – كتاب تفسير القرآن ليحيى بن سلام رحمه الله[13] : وحدثني به أيضا شيخنا أبو الحسن شريح بن محمد رحمه

(6) انظر ترجمته في الأعلام 4: 126، و المصادر التي أحال عليها، وتفسيره مخطوط.
(7) ترجمته في التكملة: 47.
(8) ترجمته في الصلة 1: 275.
(9) ترجمته كذلك في الصلة: 500.
(10) ترجمته في ابن القرضي 1: 42.
(11) ترجمته في المصدر نفسه 2: 16.
(12) ترجمته في الوافي 15: 320–321.
(13) ترجمته في الأعلام 9: 183–182. وتفسيره توجد منه أجزاء مخطوطة، وقد اختصره ابن أبي زمنين وحققه بعض الدارسين وقدمه لنيل شهادة الدكتوره بدار الحديث الحسنية بالرباط وكنت في لجنة المناقشة.

الله[14] عن الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي قال : سمعته على جدي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي الفقيه، قال أخبرنا أبي أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفارسي القيرواني ويعرف بابن الخراز[15]، قال : حدثنا أبو جعفر أحمد ابن زياد[16]، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سلام[17] عن أبيه يحيى بن سلام رحمه الله، قال الخراز : ومن سورة النساء إلى آخره حدثنا به سعدون بن أحمد الخولاني[18] عن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه.

4 – كتاب غريب القرآن تأليف أبي محمد بن قتيبة[19] : وحدثني به أيضا الشيخ الفقيه المشاور أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي، وابنه الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله، قالا : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله، قالا : حدثنا به جدي الفقيه الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي. قال حدثني به أبو

(14) ترجمته في ترتيب المدارك 5 : 112–114.
(15) المصدر نفسه.
(16) ترجمته في ترتيب المدارك 5 : 112–114.
(17) ترجمته في معالم الإيمان 2 : 523 .
(18) ترجمته في ترتيب المدارك 5 : 133–136.
(19) هذا من كتب ابن قتيبة التي كانت منتشرة في الأندلس.

محمد قاسم بن أصبغ رحمه الله[20] قراءة عليه عن أبي محمد ابن قتيبة مؤلفه رحمه الله.

وحدثني به أيضا الشيخ الفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك اللخمي الباجي قال : حدثنا أبي وعماي : أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي، قالوا كلهم: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحم دبن عبد الله قال : حدثني جدي الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي عن أبي محمد قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة. وقابلت كتابي منه بأصل الراوية أبي محمد الباجي المذكور رحمه الله ورددته إليه ونقلت جميع فوائده وحواشيه.

5 – **مشكل القرآن : تأليف أبي محمد ابن قتيبة**: وحدثني به أيضا الشيخ الفقيه المشاور أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد ابن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي، وابنه الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله قالا : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله قال : حدثني به جدي الفقيه الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة الباجي، قال : حدثني به أبو محمد قاسم بن أصبغ رحمه الله قراءة عليه مرتين عن أبي محمد ابن قتيبة مؤلفه. وحدثني به أيضا الشيخ القاضي أبو مروان

(20) هو أحد الذين أدخلوا كتب ابن قتيبة إلى الأندلس، انظر ترجمته في ترتيب المدارك. 180–183، وابن الفرضي 1:406.

عبد الملك بن عبد العزيز الباجي، عن أبيه وعميه : أبي عمر أحمد وأبي عبد الله محمد، وابن عمه الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الفقيه، عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، عن قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة، وقابلت كتابي منه أيضا بأصل الرواية أبي محمد الباجي ونقلت جميع فوائده وحواشيه ورددته إليه.

6 – **كتاب الأشربة لأبي محمد بن قتيبة** : حدثني به شيخنا القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز الباجي رحمه الله، سماعا عليه في بقية رمضان ويوم من شوال، من سنة 526هـ، حدثني به عن أبيه وعميه أبي عمر أحمد وأبي عبد الله محمد وابن عمه أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن أبي القاسم أحمد بن عبد الله بن محمد القرشي[21] – يعرف بالحبيبي –[22] عن أبي جعفر البغدادي[23] عن أبي محمد بن قتيبة مؤلفه رحمه الله.

(21) تاريخ ابن الفرضي 1: 45.

(22) نسبة إلى حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك جد الحبيبيين الذين كانوا بقرطبة. جمهرة ابن حزم : 89.

(23) ترجمته في ابن الفرضي 1: 74–75. وفيه أنه أدخل إلى الأندلس بعض كتب ابن القتيبة رواية عن ابنه أبي جعفر.

7 – **كتاب فضائل القرآن لابن مزين رحمه الله**[24] :

حدثني به شيخنا القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله قراءة مني عليه في النصف الأول منه وسماعا بقراءة غيري للنصف الثاني منه. قال : حدثني به أبي وعماي : أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد، قالوا كلهم : حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عبد الله الباجي عن أبي عبد الله محمد بن فطيس الغافقي[25] عن يحيى بن إبراهيم بن مزين مؤلفه رحمه الله.

8 – **كتاب رغائب العلم وفضله لابن مزين** : حدثني به أبو محمد بن عتاب[26] عن أبيه[27] أبي عثمان سعيد ابن رشيق[28]، عن الراوية أبي محمد الباجي قال : حدثنا سليمان بن عبد السلام[29] قال : حدثنا ابن مزين مؤلفه رحمه الله.

---

(24) ترجمته كذلك في ابن الفرضي 2: 178.
(25) تاريخ ابن الفرضي 2: 42.
(26) الصلة: 332.
(27) ترجمته في ترتيب المدارك 8: 131–134.
(28) ترجمته في الصلة: 210.
(29) له ترجمة في تاريخ ابن الفرضي 1: 219.

[illegible] – **موطأ أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه** :

[illegible] رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي رحمه الله فحدثني [illegible] الشيخ الفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز ابن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة ابن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الباجي رضي الله عنه وعن سلفه سماعا من لفظه بقراءته علينا في شهر رمضان المعظم من سنة 520هـ، وسمعته أيضا عليه مرة أخرى بقراءة بعض أصحابنا في رمضان المعظم سنة 528هـ قال : حدثني بها أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد قالوا كلهم : حدثنا بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله عن جده الفقيه الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة، قال: حدثني بها أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد[30] قراءة عليه وأبو عبد الله محمد ابن عبد الملك بن أيمن[31] سماعا عليه قالا: حدثنا بها أبو عبد الله محمد بن وضاح[32] وإبراهيم بن محمد المشهور بابن باز[33]، قالا : حدثنا بها يحيى بن يحيى، قال أبو محمد الراوية المذكور : وحدثني بها أيضا أبو عبد الله

---

(30) ترتيب المدارك 5: 174–175.
(31) تاريخ ابن الفرضي 2: 52.
(32) هو الإمام المحدث الفقيه المشهور، انظر ترجمته في ترتيب المدارك 4: [illegible] 435.
(33) ترجمته في ترتيب المدارك 4: 443–446.

محمد بن عمر بن لبابة[34] سماعا عليه، قال : حدثني بها أبو عبد الله محمد بن وضاح المذكور عن يحيى بن يحيى المذكور عن مالك بن أنس رضي الله عنه.

قال أبو محمد بن خزرج[35] : وحدثني به أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يزيد اللخمي المعروف بابن الأحدب[36] قال : حدثنا به الفقيه الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي قال : حدثنا به أحمد بن خالد ابن يزيد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن قالا : حدثنا محمد بن وضاح وإبراهيم بن محمد المشهور بابن بار، قالا : حدثنا يحيى بن يحيى.

وقال شريح بن محمد[37] : وحدثني به أيضا إجازة الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد الباجي، عن جده الفقيه أبي عبد الله بن أحمد بن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد علي بن شريعة الباجي بسنده المتقدم.

وحدثني بهذه الرواية أيضا الشيخ الخطيب أبو الحكم عمرو بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حجاج اللخمي[38] رحمه الله، مناولة منه لي في أصل كتابه، قال : حدثني به خالي أبو علي بن شريعة اللخمي الباجي رحمه الله، سماعا عليه مرتين

(34) ترجمته كذلك في ترتيب المدارك 5: 153–157.

(35) الصلة: 275.

(36) نفسها: 500.

(37) نفس المصدر: 229–230.

(38) التكملة : 47.

في سنتي ست وسبع وثمانين وأربعمائة في رمضان منهما، قال : حدث به أبي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد سماعا عليه في رمضان سنة 466هـ، قال : حدثني به جدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله سماعا عليه في ربيع الأول سنة 422هـ قال: حدثني به جدي الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي قراءة مني عليه قال : سمعته قراءة على محمد ابن عمر بن لبابة في ذي الحجة سنة 310هـ وسمعته قراءة على أبي عبد الله محمد عبد الملك بن أيمن في ذي الحجة من سنة 319هـ، وقرأت أنا عليه ما في جوانب الكتاب من كلام ابن وضاح ومن كلامه، وقرأته على أحمد بن خالد بعد المقابلة بكتابه في رجب سنة 320هـ، حدثني به محمد بن عبد الملك ابن أيمن وأحمد بن خالد كلاهما عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس رحمه الله.

وهذا السند وإن كان فيه بعد فإنه سند متصل سماع عن سماع عن سماع عن قراءة عن قراءة إلى مالك بن أنس رضي الله عنه، فشرف بهذا على بعده والحمد لله تعالى.

10 – كتاب تفسير الموطأ ليحيى بن إبراهيم بن مزين

حدثني به شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد
شريح رحمه الله سماعا عليه، قال : حدثني به الفقيه
محمد عبد الله بن إسماعيل بن خزرج قراءة عليه قال
به أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يزيد اللخمي
بابن الأحدب قراءة عليه قال : حدثنا به الراوية أبو

الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي، قال : حدثنا به أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي عن يحيى بن إبراهيم بن مزين مؤلفه رحمه الله.

11 – **كتاب مسند حديث الموطأ** : – تأليف أبي عمر أحمد بن خالد بن يزيد. وحدثني به أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي القاضي رحمه الله، مناولة منه لي في أصل جد جده الراوية، قال: حدثني به أبي و عماي : أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد، قالوا كلهم : حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد شريعة اللخمي الباجي.

12 – **مصنف الإمام أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي** رحمه الله، وهو كتاب السنن. وأما رواية محمد بن قاسم[39] عنه فحدثني بها شيخنا أبو الحسن شريح بن محمد رحمه الله بالسماع المذكور قال : حدثني بها أبو محمد عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن خزرج رحمه الله بالسماع المذكور، قال : حدثني بها أبو محمد بن عبد الله بن يزيد اللخمي المعروف بابن الأحدب،

(39) هو أبو عبد الله بن قاسم القرطبي المتوفى سنة 327 هـ وقد سمع سنن النسائي بمصر من مؤلفها، انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرضي 2:48.

قال حدثني بها الفقيه الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي قال : حدثنا بها أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد عن أبي عبد الرحمن النسائي.

وحدثني بها أيضا الشيخ القاضي أبو مروان عبد الملك ابن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله، قال : حدثني به أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد، قالوا كلهم : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن محمد بن قاسم عن النسائي.

13 – **مصنف وكيع بن الجراح رحمه الله**[40] : حدثني به شيخنا الفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله، قراءة عليه وأنا أسمع وفاتني منه فأجاز لي جميعه وناولني جملته قال : حدثني به أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله ابن علي بن محمد، قالوا كلهم : حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن أبي محمد قاسم ابن أصبغ ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، قالا : حدثنا محمد بن وضاح عن موسى بن معاوية[41] عن وكيع.

(40) انظر ترجمته في الأعلام 9 : 135.

(41) هو أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي القيرواني، انظر ترجمته في ترتيب المدارك 4: 93–96.

14 – **مصنف عبد الرزاق بن همام**[42] رحمه الله : حدثني به الشيخ القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي رحمه الله مناولة منه لي في الأصل العتيق أصل الرواية أبي محمد الباجي قال : حدثني به أبي وعماي أبو عمر وأحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد الباجي، قالوا كلهم : حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي عن جده الراوية أبي محمد عبد الله محمد بن علي الباجي، قال: حدثنا به أبو عمر أحمد بن خالد ابن يزيد قراءة منه علينا عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدربي عن عبد الرزاق إلا البيوع وأسماء غيرها، حدثني بها عن الكشوري عبيد بن محمد عن محمد بن يوسف الحذاقي[43] عن عبد الرزاق.

15 – **مصنف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة**[44]، تسعون جزءا : حدثني به شيخنا الفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله مناولة منه لنا في أصل جد جده أبي محمد الراوية، قال : حدثني به

(42) هو مؤلف التفسير الذي سبق ذكره.

(43) في تاريخ ابن الفرضي (42:1) أن أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي دخل صنعاء فسمع بها من الدبري أبي يعقوب ومن عبيد الله بن محمد الكشوري ومحمد بن يوسف الحذاقي.

(44) وفي كشف الظنون أنه « كتاب كبير جدا جمع فيه فتاوي التابعين وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين بالأسانيد مرتبا على الكتب والأبواب على ترتيب الفقه».

أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد رحمهم الله، قالوا كلهم : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي قال : حدثنا به أبو محمد عبد الله بن يونس[45]، قال : حدثنا به بقي بن مخلد[46] عنه.

وحدثني به أيضا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله إجازة فيما كتب به إلي بخطه، قال : حدثني به أبي رحمه الله وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر[47] وأحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء[48]، قال أبي رحمه الله : حدثني به أبو عثمان سعيد بن رشيق الزاهد[49] عن الراوية أبي محمد الباجي سماعا عليه، قال ابن عبد البر : قرأته من أوله إلى آخره على أبي عمر أحمد بن عبد الله الباجي، وحدثني به عن أبيه الراوية أبي محمد الباجي المذكور، وقال ابن الحذاء : حدثني به أبو عمر أحمد بن عبد الله الباجي سماعا عليه لثلثي الديوان من أوله، وحدثني به عن أبيه الراوية أبي محمد

(45) يعرف بالقبري، سمع من بقي مخلد كثيرا وصحبه، تاريخ ابن الفرضي 1 : 265.

(46) هو الا مام المحدث الكبير، و كان مما انفرد به إدخاله مصنف أبي بكر بن أبي شيبة بتمامه إلى الأندلس ولم يدخله سواه.

(47) هو الإمام الحافظ المشهور، وهو يروي عن أبي عمر الباجي. الصلة :640-642.

(48) ترجمته في الصلة: 65-66.

(49) ترجمته في الصلة كذلك: 210.

الباجي المذكور عن عبد الله بن يونس عن بقي بن مخلد عن أبي بكر بن أبي شيبة مؤلفه.

16 – **جامع سفيان الثوري**[50] **الكبير في الفقه والاختلاف**: رواية محمد بن فطيس عن شجرة بن عيسى عن علي بن زيد عن سفيان. حدثنا به أبو عمر بن عبد البر النمري قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن أبيه الراوية أبي محمد الباجي، قال : حدثنا محمد بن فطيس بسنده.

17 – **مسند بقي بن مخلد**[51] **في نحو مائتي جزء** : حدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله إجازة قال : حدثنا به أبو عمران بن عبد البر إجازة قال : أخبرنا أبو عمران أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن أبيه الراوية أبي محمد الباجي قال : حدثنا به عبد الله بن يونس قال : حدثنا بقي بن مخلد رحمه الله.

18 – **كتاب التجريح والتعديل لأصحاب الحديث** : جمع أبي محمد بن الجارود[52]، من كلام يحيى بن معين[53] ومحمد ابن إسماعيل البخاري وغيرهما، ثلاثة أجزاء.

---

(50) للإمام سفيان الثوري أيضا الجامع الصغير.

(51) قال ابن حزم : «روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي ونيف، ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه، فهو مسند ومصنف ليس لأحد مثله» كشف الظنون.

(52) هو أبو محمد عبد الله بن علي النيسابوري المتوفى سنة 307هـ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ 3 : 15 والأعلام 4 : 241.

(53) ينعت بسيد الحفاظ وبإمام الجرح والتعديل، انظر الأعلام 9 : 218–219.

حدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله عن أبي عمربن عبد البر الحافظ عن أبي عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي عن أبيه الراوية أبي محمد الباجي عن الحسن بن عبد الله الزبيدي عن أبي محمد بن الجارودي مؤلفه رحمه الله.

19 – **كتاب الآحاد في أسماء الصحابة** : لأبي محمد بن الجارود، سبعة أجزاء. حدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله عن أبي عمربن عبد البر النمري الحافظ عن أبي عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن أبيه الراوية أبي محمد الباجي عن الحسن بن عبد الله الزبيدي[54] عن أبي محمد بن الجارود مؤلفه رحمه الله.

20 – **المدونة والمختلطة منها** : تهذيب سحنون بن سعيد وتبويبه. شاهدت قراءتها كثيرا من شيخنا القاضي أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله، في مجالس التناظر عنده قال : حدثني بها أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد قالوا : حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن

---

(54) هو والد الزبيدي النحوي اللغوي المعروف ولم يسمع من أبيه لصغره، وترجمته في تاريخ بن الفرضي 1 : 128–129، وفيها أنه رحل فلقي بمكة عبد الله بن علي بن الجارود وسمع منه كثيرا.

علي بن شريعة الباجي عن أبي عمر أحمد بن خالد بن يزيد عن محمد بن وضاح عن سحنون بجميعها.

21 – **المستخرجة من الأسمعة للعتبي** : وهو محمد بن عبد العزيز بن عتبة بن حميد بن أبي عتبة بن محمد بن عبيد الله بن يزيد مولى عتبة بن أبي سفيان.[55] حدثني بها شيخنا القاضي أبو مروان المذكور عن أبيه وعميه وابن عمه أبي محمد المذكورين عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي، عن جده الراوية أبي محمد الباجي عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن لبابة عن محمد بن أحمد العتبي.

22 – كتاب الأموال لإسماعيل القاضي رحمه الله: حدثني به شيخنا القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع في مسجده في بقية رمضان المعظم من سنة 526هـ، قال : حدثني به أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد رحمهم الله. قالوا : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي، قال : حدثنا به أبو علي أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن يوسف ابن يعقوب عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حماد، قال : حدثني أبي أبو إسحاق إبراهيم بن حماد قال : حدثني عمي إسماعيل بن إسحاق القاضي.

(55) انظر ترجمة العتبي في ترتيب المدارك 4 : 252–254.

23 – **كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام** : حدثني شيخنا أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي عن أبيه وعميه وابن عمه المذكورين فوق هذا، عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي عن أبي عمر أحمد بن خالد بن يزيد عن علي بن عبد العزيز[56] عن أبي عبيد.

24 – **الفرائض لأيوب بن سليمان**[57] : حدثني بها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن موهب رحمه الله عن أبي عمر ابن عبد البر الحافظ النمري، قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد الباجي عن أبيه الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي قال : حدثنا أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمان بن أبي زيد عن أحمد بن إبراهيم عن أبي جعفر عبد الغني بن أبي عقيل المصري عن أيوب بن سليمان رحمه الله.

25 – **جزء فيه تفسير الزكاة** : اختصار الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي رحمه الله. حدثني به شيخنا القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي

(56) هو تلميذ أبي عبيد وراوي كتبه، ككتاب الأموال وكتاب الأمثال. انظر ترجمته في إرشاد الأريب : 1795–1796.

(57) في كشف الظنون : فرائض أيوب البصري، وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السجستاني البصري التابعي المتوفى سنة 131هـ.

الباجي عن أبيه وعميه أبي عمر أحمد وأبي عبد الله محمد وابن عمه الفقيه أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد قالوا كلهم : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله مختصره وجامعه.

26 – **كتاب الوثائق لأبي عبد الله الباجي**[58] **رحمه الله:**
حدثني به شيخنا القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز الباجي رحمه الله عن أبيه رحمه الله وعميه أبي عمر أحمد وأبي عبد الله محمد وابن عمه الفقيه أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد الباجي، قالوا كلهم : حدثنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي مؤلفه رحمه الله.

27 – **فهرسة الشيخ الفقيه الراوية أبي محمد عبد الله ابن محمد بن علي اللخمي الباجي رضي الله عنه** : حدثني بها الشيخ الفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي رحمه الله سماعا عليه عن أبيه أبي الأصبغ وعميه أبي عمر أحمد وأبي عبد الله محمد وابن عمه صاحب الصلاة أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، قالوا كلهم : حدثنا بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي جامعها رحمه الله.

(58) ذكر ابن بشكوال في ترجمته (الصلة : 495) أنه كان «بصيرا بالعقود متقدما في علم الوثائق وعللها وألف فيهاكتابا حسنا وكتابا مستوعبا في سجلات القضاة» وفي «المعيار» إشارة إلى كتاب الوثائق المذكور وهو اليوم مفقود.

وحدثني بها أيضا شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح المقرئ رحمه الله، قراءة مني عليه قال : حدثني بها الفقيه المشاور أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد ابن عبد الله عن أبيه الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد، وابنه الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد ابن أحمد عن جده الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الله أيضا قال : حدثني بها جدي الراوية : أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي جامعها رحمة الله عليه».

28 – **فهرسة الفقيه أبي عمر أحمد بن الفقيه الراوية أبي** محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي وابنه الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي رحمهما الله . إذ كانت روايتهما عن أبي محمد الرواية واحدة ورحلتهما إلى المشرق واحدة.

حدثني بها شيخنا القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز الباجي رحمه الله سماعا عليه عن أبيه وعميه وابن عمه المذكورين قبل عن الفقيه أبي عبد الله بن محمد بن علي جامعهما لنفسه ولابنه أبي عبد الله المذكور رحمه الله».

وحدثني بها أيضا شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد ابن شريح المقرئ رحمه الله قراءة مني عليه عن الفقيه المشاور أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله عن أبيه الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد عن أبيه أبي عمر أحمد وعن حفيده الفقيه المشاور أبي محمد عبد الله بن علي بن

محمد بن أحمد عن جده الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي قال : حدثني بها أبو عمر أحمد بن عبد الله جامعها لنفسه ولابنه أبي عبد الله المذكور.

29 – **كتاب رائع الدرر، ورائق الزهر، في أخبار خير البشر** صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، للغوي أبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكرياء بن حبيب الرازي. قرأت جميعه على الراوية أبي زكرياء يحيى بن أحمد بن السراج، وحدثني به عن الشيخ الشريف أبي عبد الله محمد بن أبي حامد بن إبراهيم الحسني المكناسي قراءة عليه بمكناسة عن الخطيب أبي زكرياء يحيى بن الخصيب أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد سماعا عن أبيه عرضا عليه من حفظه عليه عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن الخضار الضرير سماعا عن القاضي أبي مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي قراءة بلفظه من حفظه وسماعا له غير مرة عن الخطيب أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن حبيش سماعا عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله العربي سماعا عن أبي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي سماعا عن أبي الفتح سلمان ابن أيوب الرازي قراءة عن المؤلف سماعا.[59]

---

(59) عن برنامج المنتوري (مخطوط).

المصادر والمراجع

– الإحاطة : نشر مكتبة الخانجي 1973.
– اختصار القدح المعلى : تحقيق الأبياري.
– إرشاد الأريب : تحقيق إحسان عباس.
– إفادة النصيح لابن رشيد: تحقيق الدكتور الحـ بلخوجة، الدار التونسية للنشر.
– أنس الساري والسارب : تحقيق محمد الفاسي.
– الأعلام للزركلي : الطبعة الثانية.
– أعمال الأعلام : ليفي بروفنصال.
– برنامج التجيبي : تحقبق عبد الحفيظ منصور.
– برنامج شيوخ الرعيني : تحقيق إبراهيم شبوح.
– برنامج الوادي آشي تحقيق محمد محفوظ.
– برنامج المنتوري ـ مخطوط ـ.
– بغية الملتمس للضبي : ط ـ مجريط.
– بغية الوعاة : تحقيق أبو الفضل إبراهيم.
– البيان المغرب ـ قسم الموحدين : طبعة دار العر الإسلامي.
– تاريخ ابن الفرضي : ط القاهرة 1954.

– تحفة الأحباب للسخاوي : مطبعة العلوم والآداب القاهرة.
– تذكرة الحفاظ : ط حيدر أباد.
– ترتيب المدارك: ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
– التعريف بابن خلدون : تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات جامعة مؤتة.
– التعريف بالمصطلح الشريف : تحقيق سامي الدروبي.
– التكملة لوفيات النقلة : تحقيق بشار عواد ـ ط مؤسسة الرسالة.
– التكملة لابن الأبار، طبعة ع العطار، القاهرة 1955.
– 22 ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر 1328هـ ـ 1962م.
– جغرافية ابن سعيد : نشر إسماعيل العربي.
– جيش التوشيح لابن الخطيب : تحقيق هلال ناجي.
– حسن المحاضرة : المطبعة الشرفية بمصر 1327.
– الحلة السيراء تحقيق حسين مؤنس.
– درة الحجال : تحقيق الأحمدي أبو النور.
– الدرر الفرائد المنظمة : تحقيق حمد الجاسر.
– الذيل والتكملة لابن عبد الملك : تحقيق إحسان عباس.
– الذيل والتكملة لابن عبد الملك : تحقيق محمد بن شريفة.
– رحلة ابن رشيد : تحقيق محمد الحبيب بلخوجة.

– رحلة ابن جبير : تحقيق د حسين نصار.
– رحلة ابن بطوطة : الطبعة القادرية : القاهرة.
– الروض المعطار : تحقيق إحسان عباس.
– الروض الهتون لابن غازي : مطبعة الأمنية بالرباط 1952.
– الشهب اللامعة : تحقيق سامي النشار.
– صلة الصلة : طبعة وزارة الأوقاف.
– الصلة لابن بشكول : طبعة القاهرة 1955.
– طبقات السبكي : تحقيق محمود الطناجي وعبد الفتاح الحلو.
– العبر : طبعة دار الكتاب اللبناني.
– عنوان الدراية : طبعة الجزائر 1328.
– عيون الأنباء : طبعة بيروت 1957.
– غاية النهاية : بعناية برجستراسر.
– الغصون اليانعة : تحقيق إبراهيم الأيباري.
– الفوائد الجليلة : مخطوط.
– فهرس ابن خير : طبعة بيروت 1963.
– كشف الظنون : بيروت 1972.
– اللمحة البدرية : طبعة بيروت 1978.
– الاستبصار : تحقيق سعد زغلول عبد الحميد.
– مستفاد الرحلة والاغتراب : تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ 1975.
– المقتبس : نشر ملشور أنطونيه.

– المعجب : طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
– مقدمة ابن الصلاح : تحقيق عائشة بنت الشاطئ طبعة دار المعارف 1900.
– المغرب : تحقيق شوقي ضيف طبعة دار المعارف.
– المن بالإمامة : تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الثانية.
– النجوم الزاهرة : طبعة دار الكتب المصرية 1436.
– نفح الطيب : تحقيق إحسان عباس.
– الوافي بالوفيات : النشرات الإسلامية.

فهرس الموضوعات

تقديم : 3
أبو مروان الباجي ورحلته إلى المشرق : 5
الملحق الأول :
مشجر نسب أبي مروان الباجي - الأب - 75
الملحق الثاني :
مشجر نسب أبي مروان الباجي - الأم - 79
الملحق الثالث :
مشجر نسب أسرة الباجي 83
الملحق الرابع :
أبو محمد الباجي الراوية والمنصور ابن أبي عامر 87
الملحق الخامس :
رواية ابن خلدون حول نهاية الباجي المعتضد : 93
الملحق السادس :
ملخص رحلة أبي مروان الباجي 97
الملحق السابع :
أخبار رواها ابن أبي أصيبعة عن أبي مروان الباجي
حول أطباء الأندلس والمغرب في عصر الموحدين 113
الملحق الثامن :
نصوص من فهرسة ابن خير تظهر مكانة أعلام بني الباجي
الإشبيليين في الروايات والأسانيد والتآليف 139

الإيداع القانوني : 2000 / 1856.

مطبعة فضالة
زنقة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)
الهاتف : 32.46.45 (023) الفاكس : 32.46.43 (023)

كتاب «دعوة الحق»

أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحلته إلى المشرق

(564هـ / 635هـ)

الدكتور محمد بن شريفة

عضو أكاديمية المملكة المغربية

العدد الخامس • 1999 / 1420

أبو مروان الباجي الإشبيلي

ورحلته إلى المشرق

(564هـ / 635هـ)

«ولعل نبل أبي مروان، ونباهة بيته، وحسن صيته في بلده، وشهرة فضله لدى معاصريه وجمعه بين العلم والعمل هي الخصال التي جعلت الملك الكامل لما سمع به يقرر صرف النظر إليه في أمر مدارس الحديث المصرية التي كان يتولى مشيختها المحدث الحافظ أبو الخطاب عمر ابن دحية صاحب المؤلفات القيمة».

محمد بن شريفة

الثمن : 8 دراهم